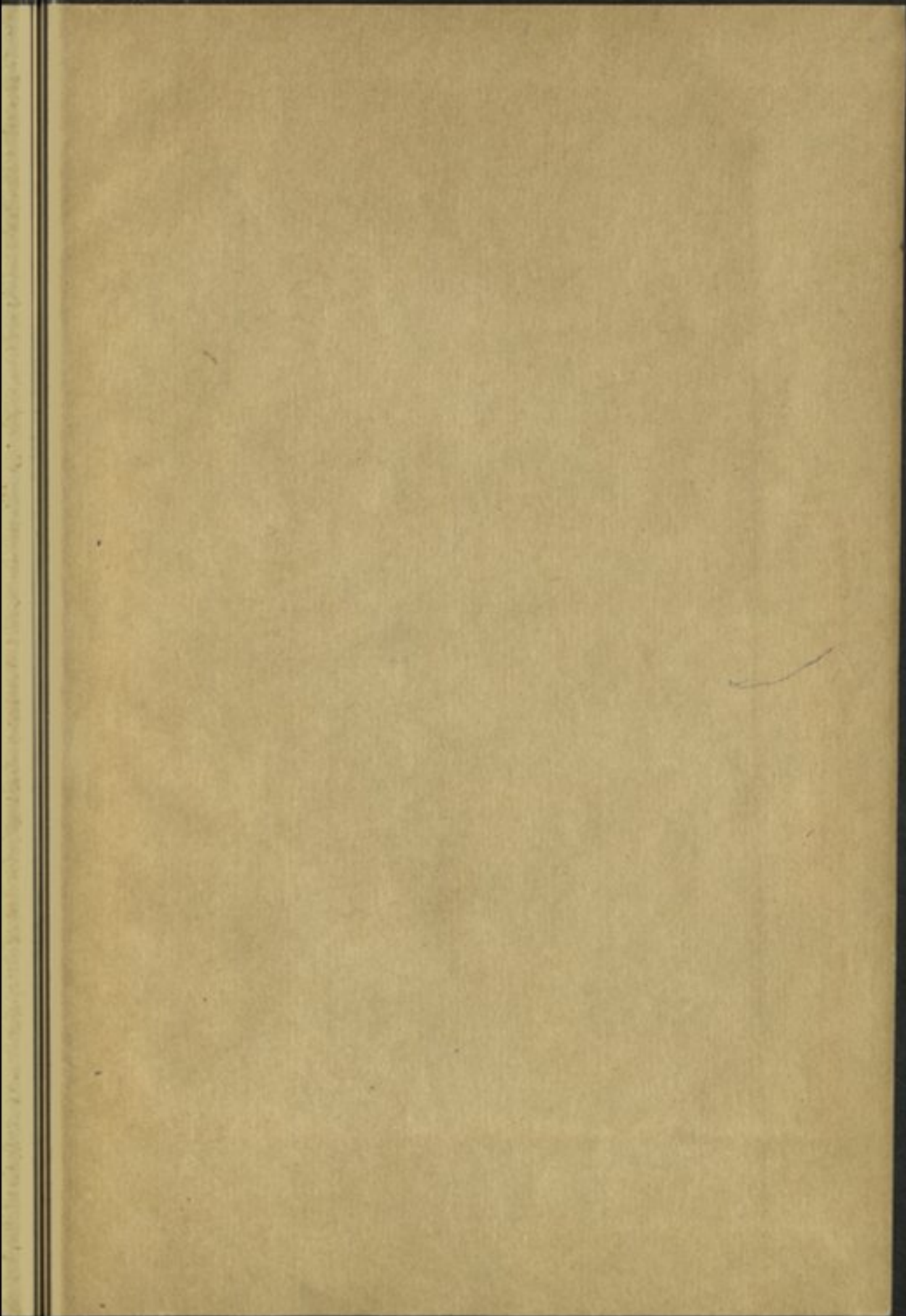
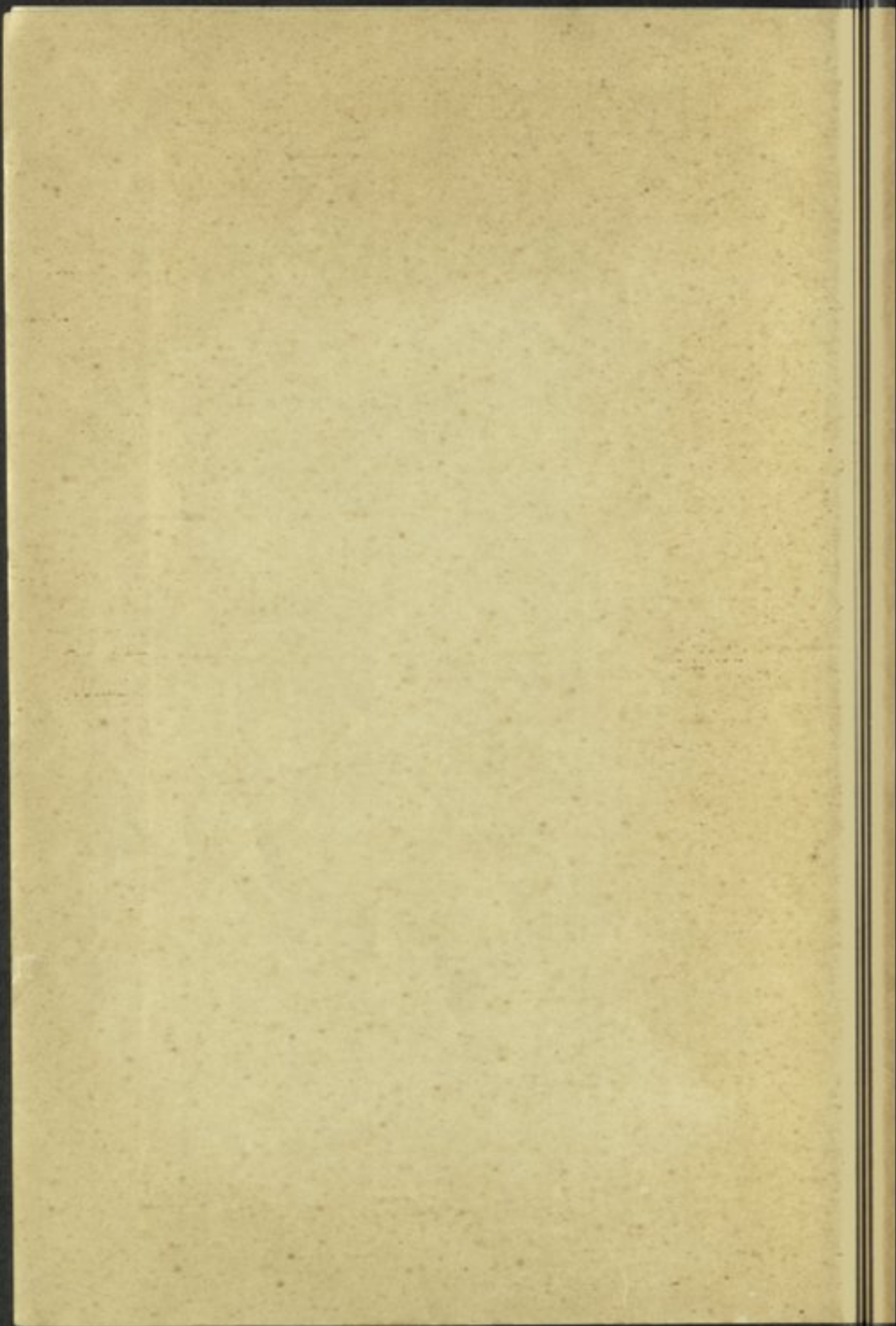


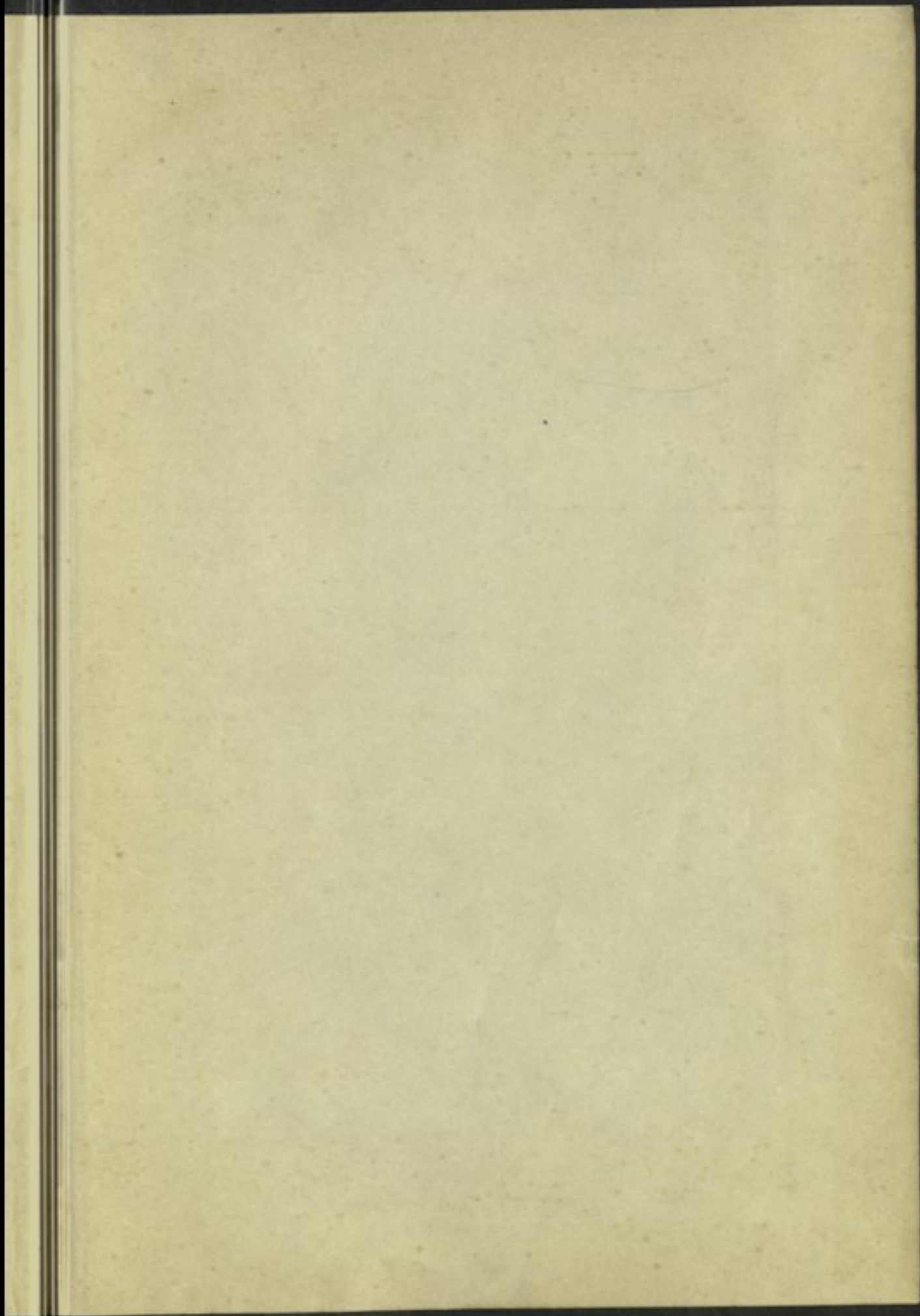
checked ✓

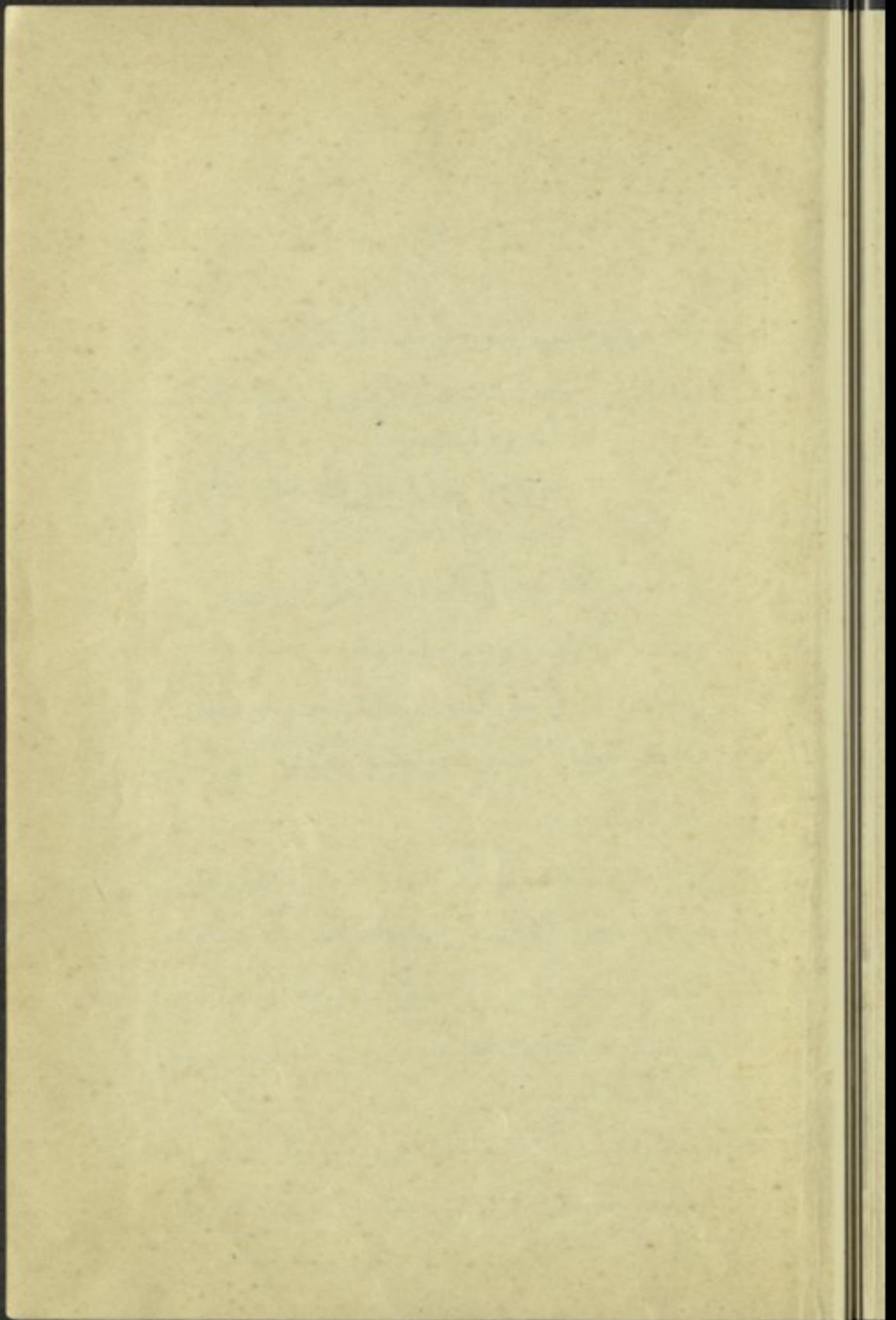
2/23

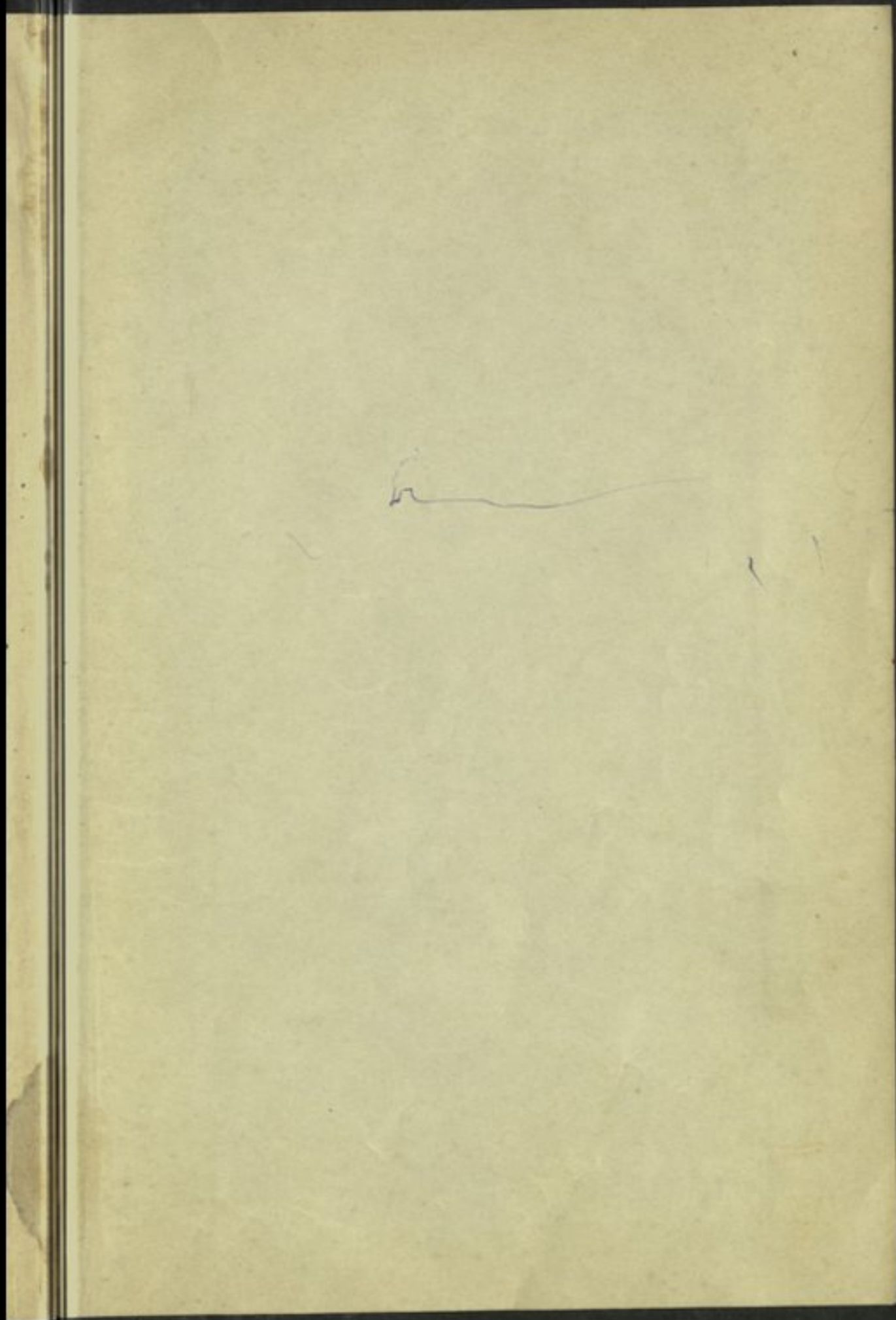












اول الكتاب بعد فهرست

فهرست قانون ديوان الرسائل

	الصفحة
فاتحة وفيها سبب العثور على هذا الكتاب	٣
في الهامش وصف كتاب صبح الاعشى وشروع دارالكتب الخدوية في طبعه	٤
صورة ما كتب به حفنى بك ناصف بشأن طبع كتاب صبح الاعشى المذكور	٥
﴿ مقدمة ناشر هذا الكتاب وتشمل ما يأتى ﴾	
وصف الكتاب وترجمة حياة مؤلفه	٧ -
في الهامش - في معنى كلمة السجل التى تجمع على سجلات	٨
ذكر تحويل السنين الخراجية القبطية الى السنين الهلالية العربية	١٥
في الهامش - فائدة فى ذكر النيروز القبطى والنيروز الفارسى -	١٦
نسخة السجل الاول من انشاء مؤلف الكتاب وهو السجل الخاص بتحويل السنين الخراجية الى هلالية	١٨
في الهامش - تشيع الفواطم لعلى رضى الله عنه وضرب عنق رجل قال لا اعرفه	٢٠
وصف موكب ركوب الخليفة فى موسم اول السنة	٢٥
في الهامش فائدة فى ذكر معنى الصماصم والتوت والعماربات	٢٦

﴿ ب ﴾

الصفحة

٢٧ في الهامش - وصف تاج الخليفة وشكله وكيفية شده ووصف

المظلة التي تحمل على رأسه في المواكب

٢٨ - وصف لواءي الحمد والحافر يجعل في وجه فرس الخليفة

٢٩ - وصف دواة الخليفة

٢٩ - الاستاذون المحضون وهم الطواشية وعوائدهم وما

معنى التحنيك

٣٠ - وصف الفضيبي الذي يمسك به الخليفة في المواكب

والتعريف بالمذبتين

٣١ - معنى كلمة اسفهلار

٣٢ - ما كان يكتب على الرايات ووصف العلمين المسمين

بالسبعين والتعريف بهما

٣٣ - ذكر نسخة السجل الخاص بالبشارة بركوب الخليفة

في أول السنة

٣٣ في الهامش فيمن يوجه اليهم خطاب الهاني من قبل الخليفة

على الترتيب

٣٦ - ذكر نسخة السجل الخاص بالبشارة بركوب الخليفة في

أول رمضان

٣٧ وصف ركوب الخليفة في أيام الجمع الثلاث الاخيرة من

شهر رمضان

- ٣٩ في الهامش - ما عساه يكون أصلا في تلاوة الخطباء الآية الشريفة
(اذكروا الله يذكركم)
- ٣٩ - في من كان يصلي تحت عقد المتبر
- ٤٠ ذكر نسخة سجل الجمعة الثانية من شهر رمضان
- ٤١ » » » الثالثة » » »
- ٤٣ » » » الرابعة » » »
- ٤٥ وصف موكب الخليفة في يوم عيد الفطر
- ٤٥ في الهامش . لم يكن الخليفة على عهد أمير الجيوش وولده ليذهب
الى المصلى في موكبه
- ٤٦ - استعراض الخليفة للجنود في يوم العيد
- ٤٩ ذكر نسخة سجل البشارة بحلول عيد الفطر
- ٤٩ في الهامش . في معنى لفظة خشكتان
- ٥١ في الهامش . صلاة المعز لدين الله يوم عيد الفطر
- ٥٢ ذكر نسخة أخرى من سجل البشارة بحلول عيد الفطر
مع اشتمال الدولة على وزير
- ٥٦ ذكر نسخة أخرى في معنى ذلك مع خلو الدولة عن وزير
- ٥٧ في الهامش . وصف سماط عيد الفطر
- ٦٠ وصف ركوب الخليفة في عيد النحر
- ٦١ في الهامش . عدد ما ينحره الخليفة بنفسه في عيد النحر وما

ينحره الجزارون بين يديه

٦٢ ذكر نسخة سجل البشارة بركوب الخليفة في عيد النحر

٦٤ في الهامش . ذكر من يؤذن لهم بالدخول في مصلى العيد

٦٥ ذكر نسخة اخرى من سجل البشارة بركوب الخليفة

في عيد النحر

٦٨ وصف ركوب الخليفة يوم قطع الخليج

٧٠ في الهامش . التعريف بالمقس وذكر مبدأ تاريخ بولاق

٧١ وصف ركوب الخليفة لتخليق المقياس ويتلوه ركوبه لقطع الخليج

٧١ في الهامش . وصف الصيوان المعروف بالقانول

٧٤ ذكر نسخة سجل البشارة بركوب الخليفة يوم قطع الخليج

٧٥ « « ثانية منه وثالثة منه

٧٦ « « رابعة منه

٧٧ الكلام على عيد النصر وسبب اتخاذ

٧٨ نسخة الكتاب الذي يبعث معه الى الخطباء صورة ما

يخطبون به في عيد النصر

٧٩ نسخة كتاب بعث به الى أحد وجوه الدولة بمناسبة

الخلع عليه بكسوة عيد الفطر

- ٨٠ في شيء من عوائد الفواطم
- ٨٠ في الهامش . اتخاذ الخلفاء للسراديب يتوصلون منها الى بعض
المتنزهات
- ٨٢ - حمل الفواطم لاهل مصر على الدخول في مذهبهم
- ٨٣ - نسخة السجل الذي قرىء على المنابر في مدة الحاكم
بحرية المذاهب
- ٨٤ خطبة المعز لدين الله على شيوخ كتامة
- ٨٦ ﴿ خطبة المؤلف ﴾
- ٨٧ في الهامش . في ان الفواطم كانوا من غلاة الشيعة
- ٨٨ سبب تأليف الكتاب
- ٩٠ اهداء الكتاب للوزير ابي القاسم الافضل شاهنشاه
ابن أمير الجيوش
- ٩٠ في الهامش . ترجمة حياة الوزير شاهنشاه
- ٩١ ﴿ الغرض المقصود بهذا الكتاب ﴾
- ٩٢ في الهامش . الكلام على ديوان الانشاء وأول وضعه في الاسلام
ووظيفة متولي وراتبه في عهد الفواطم
- ٩٣ المنفعة بكتاب قانون ديوان الرسائل
- ٩٤ الاحوال التي يجب ان يكون عليها رئيس ديوان الانشاء

- وما ينبغي ان يكون حاصله من العلوم والمعارف
- ٩٧ في الهامش . التعريف بداعي الدعاء وصورته العهد الذي يأخذه
الداعي على المدعو لينقله الى مذهب القواطم
- ١٠٠ - كتاب من بشر بن ابي كبار البلوي من كتاب
صنعاء يذم انسانا
- ١٠١ - كتاب اخر له في هذا المعنى
- ١٠٤ - ملكشاه السليجوقى ووزيره نظام الملك فى بعض
صيوده فى الصين
- ١٠٦ - النضر بن شميل التحوى والمأمون بن هارون
الرشيد (فائدة لغوية)
- ١٠٨ فيما يختص متولى ديوان الرسائل بالنظر فيه من الاعمال
- ١٠٩ فى الهامش ما يكتبه الخليفة فى علاماته ومخاطباته
- ١١٠ - معنى المنشور والامان ونسخة من هذا الاخير
- ١١٦ ~~١١٦~~ فى من ينبغي ان يستخدم لتخريج الكتب الواردة
- ١١٨ فى صفة من يجب ان يستخدم برسم الانشآت
- ١١٩ فى الهامش فى معنى كلمة التقليد التى تجمع على تقليدات
- ١٢٠ فى الهامش - ذكر الفضل بن العميسد وصورة ما كتب به عن
ركن الدولة بن بويه الى بلسكا بن ونداد يدعوه الى الطاعة
- ١٢٣ - - ابو اسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة
وصورة كتاب له فى مثل المعنى المتقدم

١٢٦ في من ينبغي ان يستخدم في المكاتب عن الملك الى
الملوك المائلين له والمخالقين لقلته وملته

١٣٠ في من ينبغي ان يستخدم لمكاتب أمراء الدولة وكبرائها
١٣٠ في الهامش - ذكر الايمان التي يستحلف بها للمبايعة التامة ويتلوه
نسخة يمين أهل الاسلام

١٣٣ في من ينبغي ان يؤهل لكتب المناشير والكتب
اللطاف والنسخ

١٣٤ في من ينبغي ان يكون ناسخاً في ديوان الانشاء

١٣٤ في الهامش في ان الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً ويتلو ذلك
توقيع لعبدالله بن طاهر على رقعة خطها غير حسن واعتراض عليه

١٣٥ في من ينبغي ان يستخدم متصفحاً لما يكتب اعانة لتولى الديوان

١٣٧ فيما ينبغي ان يوضع في هذا الديوان من الدفاتر والتذاكير

وصفة من ينبغي ان يعذق به ذلك

١٣٧ في الهامش . فائدة في ما يقابل لفظة دوسيه او ملف في اللغة العربية

١٤٢ في من ينبغي ان يستخدم خازناً في ديوان الانشاء وما
مقتضى خدمته

١٤٣ في الهامش . في معنى المشارف والضمن

١٤٧ فيما يختص بالتوقيعات

- ١٤٧ في الهامش . توقيع كاتب الانشاء عن المستنصر بمناسبة صرف
مراتب المرتزقين
- ١٤٨ - توقيع آخر على استمارة صرف المراتب في مدة
الحافظ لدين الله
- ١٤٨ - توقيع آخر للقائد جوهر على رقعة رفعت اليه
في التوقيعات في رقايع المظالم خاصة
- ١٥٠ في الهامش . كيف كان القوم ينظرون في المظالم
- ١٥١ - قصة صاحب المعديفة والمساح وفيها بيان جباية الاموال
- ١٥٥ خاتمة الكتاب للمؤلف
- ١٥٧ خاتمة لناشر الكتاب فيما آل اليه امر الفواطم عند
استبداد السلطان صلاح الدين بملك مصر
- ١٥٩ في الهامش وصف شئ مما حوته خزائن قصور الفواطم من التحف
والطرف
- ١٦٢ - ترجمة حياة الفقيه عمارة اليمنى عن ابن خلصان
- ١٦٤ قصيدة للفقيه عمارة اليمنى في رثاء اهل القصر
- ١٦٥ في الهامش وصف الميدان المسمى « بين القصرين » ووصف
القصرين
- ١٦٦ - « دار الضيافة ودار الفطرة
- ١٦٧ - « خزائن الكسوة

808.6
I13RA
C.1

كتاب القائلين

لتاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان
الشهير بابن الصيرفي من رؤساء الكتاب
في عهد الدولة الفاطمية

منقول عن نسخة خطية بمكتبة كمبرتش تمت كتابة
في سنة ٥٩٧ هجرية

﴿ عنى بنشره والتعليق عليه ﴾

عبد المجيد

وكيل دار الآثار العربية
بالقاهرة المصرية

﴿ حقوق الطبع والترجمة محفوظة ﴾

(الطبعة الاولى)
57898

طبع بمطبعة الواغظ بمصر سنة ١٩٠٥



ع. ١٠٠٠٠٠٠٠
ع. ١٠٠٠٠٠٠٠
ع. ١٠٠٠٠٠٠٠
ع. ١٩٣٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والله اعلم بالصواب

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والله اعلم بالصواب

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والله اعلم بالصواب

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

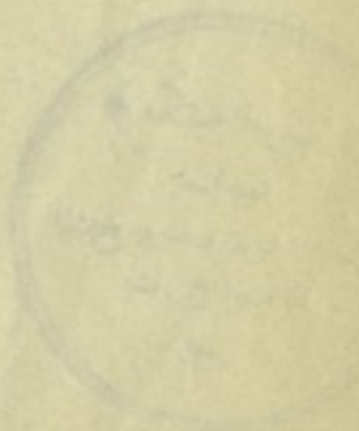
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه استعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء
والمرسلين

وبعد فلما كنت قد اشتغلت منذ شرح الشباب بتعرف
الآثار سيما العربية منها لاتفاق اتصالي عقيب خروجي من
المدارس سنة ١٨٨٢ الافرنكية بجماعة العلماء الذين توفدهم
الحكومة الفرنسية للديار المصرية بفرض التنقيب عن آثارها
الفرعونية والاسلامية دبت في روح البحث في الاطلاع
الدارسة وتربت عندي ملكة التشوف لمعرفة تواريخ بنائها
وحياة بانيتها . لذلك كنت كثير الشغف بالكتب الباحثة في
مثل هذه الموضوعات

ولما ندبتى الحكومة المصرية في سنة ١٨٩٩ لان انوب
عنها مع العالم الفاضل الشيخ محمد شريف المفتش بنظارة
المعارف حالا في مؤتمر اللغات الشرقية الذي انعقد بمدينة

رومة عاصمة بلاد ايطاليا في النصف الاول من شهر اكتوبر
من تلك السنة وقع اختياري على كتاب « صبح الاعشى في صناعة
الانشاء » (١) فتخذته موضوع كلامي بحضرة جماعة المستشرقين

(١) هذا الكتاب الحافل وصفه السخاوي بقوله (جمع فأوعى)
يعنى أنه جمع ضروب الانشاء والمكاتب قديمها وحديثها وقنون القوانين
والنظامات متقدمها ومتأخرها وطرفاً صالحاً من التاريخ بعيده وقريبه
وشطراً من تخطيط الارض عجيبه وغريبه ونصيماً وافراً من الآثار
قائمها وبائدها وجانباً من الاخلاق والمادات طاهرها وفاسدها

اقول ان هذا الكتاب الذي شمل هذه الفوائد الفرائد عن مصر
وما كان يلحق بها من البلاد تارة وينفصل أخرى كالأقطار الحجازية
واليمينية والاصقاع الشامية والعراقية وما يصاقبها من الممالك الهندية
والتركية والبلدان التركية والفارسية والذي فرغ مؤلفه شهاب الدين
احمد بن علي بن احمد الفلقشندي من تأليفه في سنة ٨١٤ الهجرية
والذي نشرت في موضوعه في مجلة (الموسوعات) فصلاً ضمنته ما ذكرته
عنه في مؤتمر المستشرقين قد شرعت دار الكتب الخديوية في طبعه منذ
اكثر من سنتين بعد ان حصلت على الاجزاء الثلاثة الناقصة التي كانت
محفوظة في مكتبة اكسفورد من بلاد الانكليز . وانه والحق يقال لعمل
تشكر عليه دار الكتب الخديوية كل الشكر ولكن هناك أمراً تنكره
عليها وهو عدم تجاوز عدد النسخ التي طبعتها منه ثلثمائة نسخة مع انها
اتفقت في أخذ صور الثلاثة الاجزاء المذكورة سبعمائة وخمسين جنبياً
ولا تكاد تنقص نفقات طبع الكتاب باكماله عن الف جنيه . ومن ثم

لاشتماله على اغراض شتى يهيمهم الوقوف عليها
وبعد ان نقلت من الاربعة الأجزاء المحفوظة منه بدار

يكون ثمن النسخة منه نحواً من ستة جنيهات لو سمح ببيعها بأصل
نفقاتها وهو ثمن لا يقدم عليه الا ذوو اليسار من محبي الكتب وهم
قليلون • على انها لو طبعت الف نسخة لما كلفها ذلك عدا ثمن الورق
الا القليل • ولو فرض ان ثمن الورق يبلغ على اكبر تقدير ٢٧٠ جنيهاً
لما زاد ثمن النسخة عن جنيهين اثنين • وبديهي ان القادرين على اقتنائه
بمبلغ جنيهين اكثر بكثير من القادرين على شرائه بستة جنيهات • هذا
وقد جاءني من رافع منار الادب حضرة المفضل حفني بك ناصف في
هذا المعنى الكتاب الآتي

مصر في ٩ فبراير سنة ١٩٠٥

علمت ان دار الكتب عازمة على طبع (صبح الاعشى) فسرني
ذلك كما سر فريق الادباء والمؤرخين ولاشك ان ذلك احياه لعلم الانشاء
ولكني سمعت ان عدد ما يراد طبعه ٣٠٠ نسخة وهذا قليل
جداً في جنب طلاب الادب والانشاء فاذا كانت دار الكتب في شك
من اقبال الناس فلتنشر اعلاناً تطلب فيه من الناس بيان من يريد
الاشترك ولاشك ان أقل عدد لا ينقص عن الف فخبذا لو أشزت على
من يده أمر ذلك ان يكثر عدد النسخ حتى يكون الكتاب أرخص
ثمناً وأسهل تناولاً للطلاب والسلام

أخوكم

حفني ناصف

فلما قرأت كتابه هذا قلت (سبق السيف العذل)

الكتب الخديوية ومن كتاب المسالك لابن فضل الله العمري وغيرهما ما بهم في بحري سافرت الى الديار الاوروبية قبل ميعاد انعقاد المؤتمر بنحو شهرين حتى أستوفي البحث في الاجزاء الثلاثة الاخرى المحفوظة بمكتبة مدينة اكسفورد من بلاد الانكليز فخرجت في الطريق على مدينة باريس وتزودت من دار كتبها بما شاء الله ان اجمع من التقييدات المفيدة

بعد ذلك سافرت الى بلاد الانكليز وقصدت مدينة كبريتش حيث كان ينتظرنى فيها بعض الاصدقاء من المصريين ولما وصلتها تعارفت بالاستاذ براون المستشرق الشهير على يد ذلك الصديق فسهت امامي سبل البحث في مكتبتها بمعونه جزاه الله عن العلم والعلماء خيراً اذ كان يستمير الكتاب الذى اطلبه ويسمح لي ان انقله في غرفته في الاوقات التى تكون فيها قاعات المكتبة مغلقة

وبينما كنت اتصفح فهرس هذه المكتبة التى ليست من كبريات مكتبات اوروبا استوقف نظري عنوان كتاب طلبته على الفور واخذت في تلاوته فشاقنى ابوابه وراقنى موضوعه فنقلته بحروفه . وبعد الفراغ من النقل قابلت المنقول على الاصل

لاني عقدت النية على طبعه يوماً ما
ولما أذن الله وصدق نيتي وحقق امنيتي بنشر هذا
الكتاب رأيت ان أقدم عليه مقدمة في وصفه وشي من
ترجمة حياة مؤلفه وبعض الرسائل من انشائه ثم اعلق على
الكتاب نفسه من التعليقات ماعساه يوضح غامض تعبيراته
ويفتح مغلق الفاظه واصطلاحاته

﴿ مقدمة ﴾

اما الكتاب وأقول بالحرى الكتيب ، لانه لا يحتوي
على اكثر من اثنتين وسبعين صفحة في القطع الصغير عدد
سطور كل صفحة منها ثلثة عشر سطرا ، فعنوانه « قانون
ديوان الرسائل » ألفه كما قال في مقدمته صاحبه [لأن يكون
دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل
رئيساً كان او مرؤساً ، وان يخلد كتابه في الديوان ليقتدى به
الموظفون ويؤخذوا بالقراءة فيه وتدبره . لانه لهم كالمعلم ،
ولأخلاقهم كالمهذب . وقسمه الى مقدمة ، وفصول ، وخاتمة .
وقدمه الى الوزير ابى القسم المنعوت بالافضل شاهنشاه ابن

امير الجيوش . وهو مكتوب بخط جميل مما يطلق عليه اسم
« الخط الايوبي » نسبة للدولة الايوبية ، وهو بين قاعدتي
الثلاث والنسخ ، وقد اتم الكاتب نقله عن اصله في أواخر القرن
السادس الهجري حيث كتب في آخره ما نصه :

« وقع الفراغ منه صبيحة يوم الاثنين السادس عشر من
ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسة »

واما مؤلف الكتاب ، واسمه ابو القاسم علي بن منجب
ابن سليمان المعروف بابن الصيرفي ، فلم اعثر له على ترجمة في
مظان وجودها في اي كتاب من كتب التراجم كالوفيات
لابن خلكان ، وشذرات الذهب والطالع السعيد للأدقوي
وغيرها وان كنت قد صادفت اسمه عرضاً في الاول منها
وقرأت في غير موضع من المقريري وفي صبح الاعشى من
انشائه سجلات شتى (١) لمناسبات عديدة اذ كر بعضها فيما يأتي
ولقد خطرت لي اثناء بحثي فكرة كنت كلما ابعدها

(١) السجلات كانت تطلق في عهد الفواطم على المكاتبات التي
يبعث بها من ديوان الانشاء الى الاعمال بمصر والاقطار التابعة لها لا بلاغ
حادثة من الحوادث التي تختص بالخليفة كركوبه في الاعياد والمواسم

تدنو وكلما حاولت قهرها تنقلب على ان أعياني الامر
فكاشفت بها بعض الخلل فلم يستنكرها. وهي ان دولة الفواطم
لما كانت دعوية في الخلافة لم يخفل بشأن كتابها ومشاهير
رجالها ارباب كتب التراجم ان لم يكونوا قد اغفلوا ذكرهم
قصدا. ومرجع ذلك الى السلطان صلاح الدين فانه كان هو
وقاضيه على مذهب ابي الحسن الاشعري منذ كانا بدمشق في
خدمة السلطان محمود بن زنكي. ولذلك لما استبد بملك مصر
عقد الخصاص على نشر مذهب الاشعري وحمل الناس على
التزامه. قال المقرئني: «فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد
صلاح الدين ابطل مذهب الشيعة من ديار مصر واقام بها
مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك فبني لسكل من
الطائفتين المدارس ثم اقتدى به في بنائها بالقاهرة ومصر
وغيرهما من اعمال مصر والشام والجزيرة اولاده وامراؤه
ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وامرأهم
واتباعهم»

وليس بالغريب اذن ان يهمل مؤلفو كتب التراجم ذكر
رجال الدولة الفاطمية حقداً عليهم اذ دين ملوكهم

فلما وافقتني صاحبي على هذه الفكرة قلت احب منك
برهانا قاطعاً ودليلاً ساطعاً. فقال خدم مثلاً تاريخ الخلفاء للسيوطي
واقراً مقدمته تجد فيها طلبتك فتناولت الكتاب واذا به يقول:
«... ولم اورد احداً ممن ادعى الخلافة خروجاً ولم يتم
له الامر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين. ولم اورد
احداً من «الخلفاء العبيديين» لان امامتهم غير صحيحة لا مور
منها انهم غير قرشيين وانما سميتهم بالفاطميين العوام. والاولا جدم
مجوسي. وقال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جسد الخلفاء
المصريين سعيد وكان يهودياً حداداً....»

« وكتب العزيز بالله الفاطمي الى الاموي صاحب
الاندلس كتاباً سبه فيه وهجاه. فكتب اليه الاموي: اما
بعد فانك عرفتنا فهجوتنا. ولو عرفناك لاجبناك. يعني انه ادعي
لا تعرف قبيلته. فاشتد ذلك على العزيز فأخفه عن الجواب. »
« وما احسن جواب المعز صاحب القاهرة وقد سأل
ابن طباطبا العلوي عن نسبهم فحذب نصف سيفه من الغمد
وقال: «هذا نسبي!» ونثر على الامراء والحاضرين الذهب
وقال: «هذا حسبي!» الى ان قال (السيوطي) فلهذه الامور لم

اذكر احداً من العميديين ولا غيرهم من الخوارج وانما اذكر
الخليفة المتفق على صحة امامته وعقد بيعته» اهـ

فاذا كان السيوطي قد اغفل ذكر خلفائهم عمداً فكيف
يذكر هو أو أمثاله من اهل السنة كتاب القواطم الذين
يروجون دعوتهم كما ستراه قريباً في مكاتبات ابن الصيرفي
واذ ظهر مما تقدم ان بذل الجهد في العثور على ترجمة
حياة الرجل ضرب من العبث فلذلك نسعي في ان نترجم له
ما أمكن مستعينين بكتب المقريزي والقلقشندي وابن خلكان
راجعين معهم الى أقدم عهد أتوا فيه على ذكره ثم نسلسل
البحث عنه على توالي السنين

قال المقريزي بمناسبة جامع القبيلة : « وهذا الجامع بناه
الافضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان
سنة ٤٧٨ . ولما كمل بناؤه اقام في خطابته الشريف الزكي
أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن علي الحسيني
الافطسي النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسي . فلما رقي المنبر
اول خطبة اقيمت في هذا الجامع قال : بسم الله الحمد لله . . . وأرتج
عليه فلم يدر ما يقول . وكان هناك الشيخ ابو القاسم علي بن منجب

ابن الصيرفي الكاتب، وولده مختص الدولة أبو المجد، وأبو عبد الله
ابن بركات النحوي، ووجوه الدولة. فلما أُضجر من حضر نزل
عن المنبر وقد حمّ فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف
إلى داره « اه

ومن هذه العبارة يؤخذ أن الشيخ أبا القاسم علي بن
منجب كان في سنة ٤٧٨ أو بعدها بقليل من وجوه الدولة الذين
يدعون لحضور الخفلات، وأنه كان له إذ ذاك ولد تجاوز سن
البلوغ بدليل تكنيته «بأبي المجد» وتلقبه بلقب «مختص الدولة»
وقال أيضاً في مقام الترجمة للأمر بأحكام الله: «وكتاب
إنشائه سنا الملك أبو محمد الزبيدي الحسني، والشيخ أبو الحسن
ابن أبي اسامة، وتاج الرياسة أبو القاسم بن الصيرفي، وابن أبي
الدم اليهودي» اه

واليك مقاله القلقشندي في الفصل الثاني من الباب
الرابع من مقدمة كتابه «ضوء الصبح» وهو الذي لخصه بنفسه
من صبح الاعشى، عند الكلام على ديوان الانشاء بعد أن
تكلم على أصل وضعه في الإسلام قال:
«ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم أمر ديوان الانشاء بها

(بمصر) ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له. وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من افاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي. فكتب للعزير بالله ابن المعز المنصور ابن سوريدين النصراني. ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في ايامه. فكتب للحاكم القاضي ابو الطاهر البهركي. ثم كتب بعده لابنه الظافر. وكتب للمستنصر القاضي ولى الدين بن خيران. ثم ولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله الى الوزارة. وابو سعيد العميدى. وكتب للامر والحافظ الاجل ابو الحسن علي بن ابي اسامة الحلبي الى ان توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فكتب له بعده ولده ابو المكارم الى ان توفى في ايام الحافظ. وكان يكتب بين يديهما الشيخ الامين تاج الرياسة ابو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي، والقاضي كافي الكفاة محمود بن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن ابي الدم اليهودي. ثم كتب بعد ابي المكارم القاضي الموفق ابن الخلال ايام الحافظ الى آخر ايام العاضد آخر خلفائهم «اه وليس في تعبير القلقشندى عن المترجم بالكتابة بين يديهما (ابو الحسن علي بن اسامة وولده ابو المكارم) ما ينافي

رياسته. اذ يكفي في نقضه تلقيبه اياه بتاج الرياسة. وفضلا عن ذلك فان القلقشندي وان نقل عن ابن الصيرفي دون من ذكرهم من رؤساء ديوان الانشاء الكثير من السجلات معزواً اليه الا انه وهم عند نقل الفصول الكاملة من قانون ديوان الرسائل بالحرف فمزأها الى أبي الفضل الصوري الذي لم اهتد الى معرفة شيء عنه

واليك ما جاء عرضاً في كتاب الوفيات لابن خلكان عن المترجم بمناسبة ترجمة حياة يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله قال: «وذكره (اي ذكر يعقوب بن كلس) ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء سماه «الاشارة الى من نال الوزارة» وذكر فيه وزراء الفاطميين الى عصره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور» اه وهذه الجملة على قصرها افادتنا فائدتين: ان المترجم كان مصرياً وان له تأليفاً آخر خاصاً بتراجم وزراء الدولة من اولها الى عهده

ويستخلص من كل ذلك ان ابن الصيرفي كان مصرياً؛
وانه لما اتصل بديوان الرسائل على ايام الامر باحكام الله

سنة ٤٩٥، كان يناهز الخمسين من عمره، وانه بقي يعمل في هذا
الديوان نحواً من اربعين سنة بدليل السجلات الآتية المتباينة
التواريخ المحرر آخرها في سنة ٥٣٦ عن نسان الخليفة الحافظ
لدين الله، وعلى ذلك يكون قد عمر ما يربو على تسعين سنة؛ وانه
كان له ولد يكنى بأبي المجد ويلقب بمختص الدولة؛ وانه الف
غير قانون ديوان الرسائل كتاباً آخر سماه «الاشارة الى من نال
الوزارة» أتى فيه على تاريخ وزراء القواطم من عهد اولهم
يعقوب بن كلس الي وقته

هذا ما امكنتى استنباطه من كتب التراجم وغيرها التي
راجعتها. واني مورد الآن السجلات من قلم صاحب الترجمة
وفاء بالوعد اذ منها تعلم مقدرته على التحرير في موضوعات
متعددة وعلى الخصوص اقتداره على الوصف واول سجل
عثرنا عليه من انشائه كتبه في سنة ٤٩٧ الهجرية وهذا السجل
ذكره المقرئى بمناسبة تحويل السنة الخراجية القبطية الى
السنة الهلالية العربية حتى توافق مواعيد استخراج الضرائب
وجباية الاموال ابان ادراك الغلات والثمار
قال المقرئى لما جاء الله بالاسلام محرز المسلمون من

كبس السنين خشية الوقوع في النسيء الذي قال الله سبحانه
وتعالى فيه «انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا»
ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا
عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك
الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين
سنة شمسية بالتقريب. واول ازدلاق وقع في الاسلام على
عهد المتوكل العباسي سنة ٢٤٢ الهجرية. والثاني في أيام المعتضد
سنة ٢٧٨

ولما كانت قصة هذين الازدلاقين قد حكاهما المقرئ
في مقام واحد احببنا ايرادها ليزداد بها الموضوع وضوحاً قال
«حكي أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال كنت
احدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير
النوروز (١) فاستحسنه وقال لي كيف كان ذلك قلت حدثني ابي

(١) النوروز القبطي يقع اول يوم من توت الذي هو اول شهر
السنة القبطية. قال المقرئ وكان النوروز القبطي في ايام الفواطم من
جملة المواسم تعطل فيه الاسواق ويقبل فيه سعي الناس في الطرقات
وتفرق فيه الكسوة لرجال اهل الدول ونسائهم والرسوم من المال
وحوائج النوروز. والنوروز القبطي غير النوروز الفارسي

قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة
 التي كانت في يدي وهو متوكي، على محادثي وينظر الى ما
 أحدث في ذلك البستان فمر بزرع فراه أخضر فقال: يا علي ان
 الزرع أخضر وما ادرك بعد، وقد استأمرني عبيد الله بن يحيى
 في استفتاح الخراج. فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج في
 النوروز والزرع لم يدرك، فقال له ليس يجري الأمر اليوم
 على ما كان يجري عليه أيام الفرس، ولا النوروز في هذه الأيام
 في وقته الذي كان في أيامها. قال وكيف ذلك فقلت لأنها كانت
 تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهراً. وكان النوروز اذا تقدم
 شهراً وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر، فصار
 في خمس من ايار وأسقطت شهراً وردته الى خمس من حزيران،
 فكان لا يتجاوز هذا. ولكن لما امتنع المسلمون من الكبس
 صار يقع في نيسان والزرع أخضر. فقال له المتوكل: فاعمل لهذا
 عملاً ترد النوروز فيه الى وقته. قال فرجعت وحررت الحساب
 وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر ان يستفتح الخراج في
 خمس من حزيران، وان ينشأ كتاب عن أمير المؤمنين في ذلك
 تنفذ نسخته الى النواحي

نوروز
 ٥ حزيران

قال ابو أحمد: فلما سمع مني المعتضد هذه القصة قال هذا والله فعل حسن وينبغي ان يعمل به . فقلت ما احد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا امير المؤمنين . فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له: اسمع من يحيي ما يخبرك به وامض الامر في استفتاح الخراج عليه اه

وقال في موضع آخر عن القاضي ابى الحسن : وقد كان النقل أغفل في الديار المصرية حتي كانت سنة ٤٩٩ الهلالية تجرى على سنة ٤٩٧ الخراجية فنقلت سنة ٤٩٧ الى سنة ٥٠١ وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ٥٠١ : واول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية ، وكان قد حصل بينهما تفاوت اربع سنين . فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائي مع الافضل امير الجيوش في ذلك فاجاب اليه وخرج امره الى الشيخ ابى القاسم بن الصيرفي بانشاء سجل فانشأ ما نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي ارتضى أمير المؤمنين امينه في ارضه وخليفته ، وألهمه ان يعم بحسن التدبير عبيده وخليفته ، وأورثه مقام آباءه الراشدين الذين اختصهم بشرف

المفخر، وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في المحشر، وعناهم
 بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وأعلى منار سلطانه
 بمدبر افلاك دولته، ومبيد اعداء مملكته، واشرف من نصب
 للجند علماً ورايه، ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه، السيد
 الاجل الافضل (١) الذي نبه في السياسة على ما اهمله من سبقه
 واغفله من تقدمه، وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلاً الا
 اوضحه وبين الواجب فيه، ولا خلاص الا اصلحه وبادر بتلافيه،
 ايثارا لعامة الاعمال، وقصدا لما يقضى بتوفير الاموال، واعتناء
 برجال الدولة العلوية واجنادها، واهتماما بمصالحهم التي ضعفت
 قواهم عن ارتيادها، ورعاية لمن ضمته اقطار المملكة من الرعايا،
 وحملا لهم على اعدل السنن وافضل القضايا، بحمدده امير المؤمنين
 على ما اعانه عليه من حسن النظر للائمة، وادخره لآيامه من
 الفضائل التي ضفت بها ملابس النعمة. ويرغب اليه بالصلاة
 على محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب، وبين به ما استبهم
 من سبل الصواب، وانزل عليه في محكم الكتاب: هو الذي
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين

(١) هو الافضل شاهنشاہ بن امير الحيوش

والحساب . صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه امير المؤمنين
 علي بن ابي طالب كفايه فيما اعضل لما عدم المساعد (١) وواقبه
 بنفسه لما تخاذل الكف والساعد ، وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين
 برضا الله تعالى فيما يقولون ويفعلون ، والذين يهدون بالحق وبه
 يعدلون * وان أولى ما أولاه امير المؤمنين حظاً وافيأمن تقدمه ،
 وأسهم له جزءاً من كريم تعهده ، امرُ الاموال التي يستعان
 بها على سد الخلل ، وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل ،
 وبوفورها تستثبت شئون المملكة وتستقيم احوال الدول ،
 وباستخراجها على حكم العدل تكون العمارة التي هي اصل

(١) كان القواطم يتشيعون لعلي رضه حتى يقال انه لما دخل المنز
 لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في رمضان
 سنة ٣٦٢ فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر (خير الناس بعد رسول
 الله صلعم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام) قال المقرزي وفي
 جمادي الاولى سنة ٣٩١ قبض على رجل من اهل الشام سئل عن امير
 المؤمنين علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي الحاكم بأمر الله
 وبعث اليه وهو في السجن اربعة من الشهود وسألوه فآقر بالنبي صلعم وأنه
 نبي مرسل وسئل عن علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه فأمر قائد القواد
 الحسين بن جوهر بأحضاره فخلاه ورفق في القول معه فلم يرجع عن
 انكاره معرفة علي بن ابي طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه
 وضرب عنقه وصاب

زيادتها
 أحدهم
 ولا
 يشترك
 في الع
 تضبط
 الهلالي
 ومصاد
 في ايض
 الأفض
 سيفه
 مذلا
 والار
 وانحص
 لهم فيما
 فيما يؤ
 أيام ال

زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها، ولما كانت جباياتها على حكمين
أحدهما يجيء هلاليا وذلك مالا يدخله عارض ولا اشكال
ولا ابهام، ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال
يشارك في معرفتها الامير والمقصر، ويستوى في الفهم بها المتقدم
في العلم والمتأخر، والآخر يجيء خراجيا لان سنته
تضبط اوقات النيل المبارك والزراعة دون السنة
الهلالية ولا يستقل بمعرفته الا من باشره، وعرف موارده
ومصادره، فوجب ان يقصر على السنة الخراجية النظر، ويعتمد
في ايضاح امرها، ليكون ذلك شاهداً لمساعى السيد الأجل
الأفضل الذي لا يزال ساهراً آليه في حياطة الهاجعين شاهراً
سيفه في حماية الوادعين، مطلعاً للدولة بدور السعادة وشموسها
مذلاً لها صعب الحوادث وشموسها، وهذا حين التبصير
والارشاد، وأوان التبئين للغرض والمراد، لتساوى العامة
والخاصة في عامه، وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه، وتحقق المنفعة
لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها، وتيقن المعدلة عليهم
فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استدراكها، ومعلوم ان
أيام السنة الخراجية وهي السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية

لأن أيام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسيء
 ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربيع يوم، وأيام السنة الهلالية
 لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلاثمائة وأربعة وخمسون
 يوماً. والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوماً، وفي كل
 ثلاث وثلاثين سنة: سنة واحدة على حكم التقريب. فإذا اتفق
 ان يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت
 نسبتها واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما، وبقي ذلك جاريا
 عليهما، ولم يزل متداخلين لكون مدخل الخراجية في اثناء
 شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة. فإذا انقضت
 هذه المدة بطلت المداخلة وختت السنة الهلالية من نوروز
 يكون فيها، وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية. ويكون التفاوت
 سنة واحدة لليلة المقدم ذكرها. ومن اين يستمر بينهما اختلاف،
 أو يعدم لهما اختلاف؟ أم كيف يعتقد ذلك احد من البشر
 والله تعالى يقول «لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر»؟ فقد وضح
 دليل التباعد بما جاء منصوصاً في الكتاب، وظهر برهانه بما
 اقتضاه موجب الحساب. فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة
 الشمسية الى التي تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها.

وفائدة النقل ان لا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب
الى السنة الموافقة لها. لأن واجبات العسكرية على عظمها واتساعها،
وارزاق المرتزقة على اختلاف اجناسها واوزاعها، جارية على أحكام
الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال. والمحافظة
على ثمره ارتفاعها متعينة، ومنفعة العناية بما تجري عليه واضحة مبينة.
ولما اهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين
واربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان
في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال
النقل فيما تقدم مما صارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبي خراج
ما يوافقها فيها. ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا في
السنة التي تليها، فهي تسهل وتنقضي وليس لها في الخراجي
ارتفاع، والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا ارتفاع،
وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خافية، والاذية فيها
للرجال المقطعين بادية، واسباب لحوقها ايام مستمرة متمادية،
ولاسيما من وقع له باثبات، وأنعم عليه بزيادات، فانهم يتعجلون
الاستقبال، ويتأجلون الاستغلال، ومتي لم تنقل هذه السنة
الخراجية، كانت متداخلة بين سنين هلالية، وهي موافقة لغيرها

ومالها يجري على سنة تجرى بينهما. لان مدخلها في اليوم العاشر
من المحرم سنة احدى وخمسة مائة. وانقضاؤها في العشرين من
المحرم سنة اثنتين وخمسة مائة وهي متداخلة بين هاتين السنتين
ومالها يجري على سنة احدى وخمسة مائة والحال في ذلك لا ينتهي
الى امد، ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد * وقد رأى أمير
المؤمنين - وبالله توفيقه - ما خرج به امره الى السيد الاجل الافضل
الذي نبه على هذا الامر وكشف غامضه، وازال بحسن تبصره
تنافيه وتناقضه، ان يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل
مضمنا ما رآه ودبره، مودعا انفاذ ما احكمه وقرره، من نقل سنة
تسع وتسعين وأربعمائة، الى سنة احدى وخمسة مائة لتكون موافقة
لها، ويجري عليها مالها، ويكون ما يستأدونه من اقطاعهم
ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس، ونطاق
محيط غير منحوس، وشاهداً بنصيب موافق غير منقوص، ويتضح
مأبهم اشكاله التعمية، ويذول الاستكراه في اختلاف التسمية،
ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخرجية الى سنة اربع
وثلاثين وخمسة مائة وينسب مال الخراج والمقاسمات، وما يستغل
ويجبى من الاقطاعات، مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين

واربعمائة الى سنة احدى وخمسة و تجرى الاضافة اليها مجرى ما يرتفع من الهلال فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها، وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها، فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي سائر أعمال الدولة قاصيها ودانيها، وفارسها وشاميها. وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين، وجميع العمال والمتصرفين الى اقتناء هذا السنن واتباعه، وليحظروا الخروج عن احكامه المقررة واوضاعه، وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه، وليحذروا من تجاوزه وتعمديه، ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصورة، وليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعمورة * وكتب في محرم سنة احدى وخمسة

وقرأت لابن الصيرفي في صبح الاعشي سجلا بالبشارة بركوب الخليفة في موسم اول السنة. ولما كان نظام هذا الموكب غريبا حيث اراده توطئة للسجل. وهو هذا نقلا عن القلقشندي قال :

وكان من شأنهم فيه انه اذا كان العشر الاخير من ذي الحجة من السنة وقع الاهتمام باخراج ما يحتاج اليه في المواكب من

حوصل الخليفة فيخرج من خزائن السلاح ما يحمله الركابية وغيرهم حول الخليفة كالصمام (١) والدبابيس والتوت (٢) وعمد الحديد والسيوف والدرق والرماح والالوية والاعلام، ومن خزانة التجمل يرسم الوزير والامراء وأرباب الخدم الالوية والقضب والعماريات (٣) وغير ذلك، ومن الاصطبلات مائة فرس مسومة يرسم ركوب الخليفة وما جنبه، ويخرج من خزانة السروج مائة سرج بالذهب والفضة مرصع بعضها بالجوهر بمراب من ذهب وفي اعناق الخيل اطواق الذهب وقلائد العنبر وفي ارجل اكثرها خلاخل الذهب والفضة قيمة كل فرس وما عليها من العدة الف دينار، يدفع للوزير منها عشرة بعدتها يرسم ركوبه وركوب اخصائه وتسلم الى المناخات اغشية العماريات التي تحمل على الجمال. ويبعث الى ارباب الخدم من الاصطبلات بخيول عارية ليركبوها في الموكب. فاذا كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة استدعى الخليفة الوزير من داره ثم خرج الى باب الملك الذي فيه الشباك وعليه الستر من ظاهره فيقف من جانبه الايمن زمام القصر، ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال. فاذا وصل الوزير الى الشباك وجد تحته

- (١) الصمام واحد الصمامة وصمام وهو السيف الفاطع لا ينثني
 (٢) التوت قال الفلقشندي هي عمد حديد طول ذراعين مربعة الاشكال بمقايض مدورة ورؤسها مدورة كذلك
 (٣) العماريات وهي شبه الكنجراوات (المخفات) ملبسة بالحرير الاحمر والاصفر والقرمزي وغير ذلك وعابها كواسج (رمانات) الفضة المذهبة

كرسيًا كبيرًا من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطآن الارض . فاذا
جلس رفع كل من زمام القصر وصاحب بيت المال الستر من جانبه
فيرى الخليفة جالسًا على مرتبة عظيمة فيقف ويسلم ويخدم بيده في
الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس ويستفتح
القراء بقراءة آيات لا ثقة بذلك الممكان مقدار نصف ساعة . ثم يسلم
الامراء . ويشرع في عرض خيول الخاص المتقدم ذكرها واحدة واحدة
الى آخرها . فاذا تكمل عرضها قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس .
فاذا فرغوا ارخى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ثم
ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الامراء معه الى خارج
فيمضون معه الى داره ركبانًا ومشاة على حسب مراتبهم . فاذا صلى
الخليفة الظهر جلس لعرض الكسوة الخاص وتعيين ما يلبس في
ذلك المركب . ولباسه فيه البياض . فيعين منديلًا لشدة التاج (١) وبدلة
من هذا النوع والجوهرة الثمينة وما معها من الجواهر لشدة التاج . والمظلة (٢)

(١) وصف المقرئ تاج الخليفة بقوله فاما المنديل فيسلم لشدة التاج
الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المميزين لماسة ما يعلو تاج
الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليلجة ثم تحضر اليه
البيضة وهي جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فنظام هي وما حوالها من الجوهر
على خرقة حرير احسن وضع ويحيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة
فتكون باعلى جهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الجواهر
احد عشر مثقالا وبادئها قصبة زمرد ذباني له قدر عظيم اه
(٢) كانت المظلة على ما يقول الفلقشندي مركبة من اثني عشر

تشبه تلك البدلة وتلف في منديل ديبقي فلا يكشفها الا حاملها عند ركوب الخليفة. ثم يشد لواء الحمد (١). فاذا كان اول يوم من العام بكر ارباب الرتب من ذوي السيوف والاقلام فلا يصبح الصبح الا وهم بين القصرين منتظرين ركوب الخليفة. وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء وي بكر الامراء الى دار الوزير ليركبوا معه فيخرج من داره ويركب الى القصر من غير استدعاء وامامه ماشرفه به الخليفة من الالوية والاعلام والامراء بين يديه ركبانا ومشاة واولاده واخوته قدامه وكل منهم مرخي الذوابة بلا حنك وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحنك متقلدا بالسيف الذهب. فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء ودخل هو راكبا الى محل نزوله بدهايز القصر المعروف بدهايز العمود فيترجل هناك ويمشي في بقية الدهايز حتى يصل الى منقطع الوزارة بتاعة الذهب هو واولاده واخوته وخواص حاشيته. ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدة لهم ويدخل فرس الخليفة وعلى جبهته الحافر (٢) الى باب المجلس الذي هو فيه وعلى باب المجلس

شوزكا (خانه) وعرض كل شوزك من الاسفل شبر وقوائمها او ضلوعها ملبسة بانايب الذهب

(١) هما رحمان طويلان ملبسان بانايب الذهب الى حد استهما وبعلاهما رايتان من الحرير الابيض المرقوم بالذهب

(٢) الحافر قطعة ياقوت احمر في شكل الهلال زنتها احد عشر مثقالا ليس لها نظير في الدنيا تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير

كرسي يركب من عليه . فاذا استوت الدابة الى ذلك الكرسي اخرجت
المظلة الى حاملها فيكشفها مما هي مرفوقة فيه ويتسلمها باعانة اربعة معدين
لخدمتها فيركزونها في آلة من حديد مشدودة في ركاب حاملها الايمن بقوة
ويمسك العمود بمحاجز فوق يده . ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله . فاذا
تسلمه ارخى ذؤابته فلا تزال مرخاة مادام حامله . ثم تخرج الدواة (١)
فيتسلمها حاملها ويجعلها قدامه بينه وبين السرج . ثم يخرج الوزير عن
المقطع وينضم اليه الامراء ويقفون الى جانب فرس الخليفة ويرفع
صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة من
الاستاذين (٢) يخرج الخليفة في اثرهم في ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى
رأسه التاج الشريف والدرة اليتيمة على جبهته وهو محمك مرخي الذؤابة

وبدائرها قصب زمر ذبابي عظيم الشان يجعل في وجه فرس الخليفة
عند ركوبه في المواكب

(١) الدواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على
صلابته تلف في منديل حرير ايض

(٢) قال القلقشندي الاستاذون هم المعروفون الان بالخدام الطواشية
واجلهم المنكون وهم الذين يدبرون عمائمهم على احناكهم كما تفعل العرب
وكانوا يزيدون على الف ومن عادتهم اذا التحق بهم شخص جدي اعطاه
كل واحد بدلة كاملة وسيفاً وفرساً وكان يتخدمهم شاد التاج وصاحب
المجلس وصاحب الرسالة وازمة القصور (طواشية) وصاحب بيت المال
وصاحب الدفتر وحامل الدواة وازمة الاقارب ومن يتولى طعام الخليفة

مما يلي جانبه الايسر مقلد السيف العربي وقضيب الملك بيده (١) ويسلم
 على الوزير ثم على القاضي والامراء . ثم يخرج الامراء وبعدهم الوزير
 فيركب ويقف قبالة باب القصر ويخرج الخليفة راكباً وفرسه ماشية
 على بسط خشية ان يزلق على الرخام والاستاذون حوله . فاذا قارب
 الباب وظهر وجهه ضرب رجل يبوق لطيف معوج الرأس متخذ من
 الذهب مخالف لصوت الابواق فتضرب البوقات في الموكب وتنشر
 المظلة ويخرج الخليفة من باب القصر فيقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب
 الاستاذين المحنكين وذيهم من ارباب الرتب . ثم يدير الخليفة في الموكب
 وصاحب المظلة على يساره وهو يحرص ان لا يزول ظلها عن الخليفة .
 ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب اثنان منهم في شكيمتي جلام
 فرسه واثنان في عنق الفرس من الجانبين واثنان في ركابه من الجانبين
 ايضاً . والايمن منهما هو صاحب المقرعة الذي يناولها للخليفة وهو الذي
 يؤدي عنه مدركو به الاوامر والنواهي . واللواء ان المعروفان بلواهي الحمد
 عن جانبيه . والمذبتان (٢) عند رأس فرس الخليفة . والركابية يمينه وشماله
 نحو اليمين رجل مقلدون السيوف مشدودون الاوساط بالمناديل وهم من
 جانبي الخليفة كالجناحين المادين بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها
 احد وبالقرب من رأسها الصقليان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان

(١) القضيب عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر
 والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام
 (٢) منشتان عظيمتان

كالنخلتين . ويرتب الموكب من اجناد الامراء واولادهم . واخلط العسكر امام الموكب . وادوان الامراء يلونهم . وبعدهم ارباب القضب الفضة من الامراء . ثم ارباب الاطواق منهم . ثم الاستاذون المحنكون . ثم اهل الوزير المقدم ذكرهم . ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين . ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده وهما من الجانب الايسر وكل واحد من تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه . ثم الخليفة بين الركابية وهو سائر على تودة ورفق . وفي اوائل العسكر ومقدمته والى القاهرة ذاهباً وعائداً لفسح الطرقات وتسير من يقف . وفي وسط العسكر الاسفهلار (١) يحث الاجناد على الحركة ويزجر المتراحمين والمعترضين في العسكر ذاهباً وعائداً . وفي زمرة الخليفة صاحب الباب يرتب العسكر ويحرس طرقات الخليفة ذاهباً وعائداً يلقي صاحب الباب اسفهلار واسفهلار يلقى والى القاهرة وفي يد كل منهم دبوس . وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ اعقابه . ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج احمر واصفر يقال لها « سيوف الدم » برسم ضرب الاعناق . وبعدهم الحاملون لاسلح الصغير . ووراءهم الوزير في هيئة عظيمة وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختارهم لنفسه من اصحابه . وقوم يقال لهم صبيان الزرد من اقرباء الاجناد من جانبه بفرجة لطيفة امامه دون فرجة الخليفة مجتمداً ان لا يغيب الخليفة عن نظره . وخلفه الطبول والصنوج (التقارات) والصفافير في عدة كثيرة تدوي من اصواتها الدنيا .

ووراء ذلك حامل الرمح والدرقة المنسوبة الى حمزة . ثم رجال الاساطيل مشاة ومعهم القسي وهم يزيدون على خمسمائة رجل . ثم طوائف الرجالة زمرة بعد زمرة في عدة وافرة يزيد عددها على اربعة آلاف . ثم اصحاب الرايات (١) والسبعين (٢) ثم طوائف العساكر من الاتراك والمصريين والديلم والاكراذ . ثم الغزالمصطنعة وذيرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس واذا ترتب الموكب على ذلك سار من باب القصر الذي خرج منه بين القصرين حتى يخرج من باب النصر . ثم يعطف على يساره طالباً باب الفتوح ويسير بجانب السور حتى يأتي باب الفتوح فيدخل منه ويسير الموكب حتى ينتهي بين القصرين فيقف العسكر هناك على ما كان عليه عند الركوب ويترجل الامراء . فاذا انتهى الخليفة الى الجامع الاقمر وقف هناك في جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرك مسرعاً ليصير امام الخليفة . فاذا مر بالخليفة سجع له سكرة (تسليمة) ظاهرة فيشير الخليفة بالسلام عليه اشارة خفيفة وهذه اعظم كرامة تصدر من الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف . فاذا جاوز الوزير الخليفة سبقه الى باب القصر ودخل راكباً على عادته والامراء امامه مشاة الى الموضع الذي ركب منه بدهايز العمود فيترجل

-
- (١) كانت الرايات يكتب عليها نصر من الله وفتح قريب
 (٢) السبعان رحمان برؤسهما أهلة من ذهب صامته في كل واحد منهما سبع من ديباج احمر واصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينتفخان فيظهر شكلهما يحملهما فارسان من صبيان الخاص

هناك ويقف هو والامراء لا تنتظار الخليفة . فاذا انتهى الخليفة الى باب القصر ترجل الاستاذون المحنكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والاستاذون محذقون به . فاذا انتهى الى الوزير مشى الوزير امام وجه فرسه الى الكرسي الذي ركب من عليه فيخدمه الوزير والامراء وينصرفون ويدخل الخليفة الى دوره . فاذا خرج الوزير الى مكان ترجله ركب والامراء بين يديه واقارب حوالبه الى خارج باب القصر فيركب منهم من يستحق الركوب ويمشي من يستحق المشي ويسيرون في خدمته الى داره فيدخل وينزل تلي كرسي فيخدمه الجماعة وينصرفون وقد رأى الناس من حسن الموكب . ألمهجم وأراق خواطهم ويتفرق الناس الى اماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل اليهم « الغرة » وهي دنانير رباعية ودرهم خفاف مدورة يكون الخليفة قد أمر بغيرها في العشر الاخير من ذي الحجة برسم التفرقة في هذا اليوم لكل واحد من الوزير والامراء وأرباب الاراتب من حملة السيوف والاقلام قدر مخصوص من ذلك فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة ويكتب الى البلاد والاعمال سجلات بالبشائر بركوب أول العام وهذه نسخة السجل :

« الحمد لله الذي لم يزل يولي احساناً وانعاماً » واذا أبلى عبيده عاماً أجد لهم بفضله عاماً * فقد أمدكم معاشر (١)

(١) يكتب عادة في مكان هذا البياض من بوجه اليهم الخطاب على هذا الترتيب معاشر اقارب امير المؤمنين من اخوته وبني

كرماً ومنا * وآتاكم من جوده أكثر مما يتمني * ومنحكم
 من عطائه ما يوفي على ما أردتموه * وسخر لكم الليل
 والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه * وقد استقبلتم هذه السنة
 السعيدة * وإذا عملتم بالطاعة كنتم مستنجزين من ثواب الله
 الاغراض البعيدة * وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي عدت
 الجنة مذكرة لمن عمل بهداه لما سمعه * ومهياة لمن آمن به
 واتبع النور الذي أنزل معه * ويبين بأرشاده ما يجري أمور
 السنين عليه في العدد والحساب * ونسخ ما كانت الجاهلية
 فيه زيادة في الكفر وضلالاً عن الصواب * وعلى أخيه وابن
 عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كمل الله الاسلام
 بأمامته * وضاعف الاجر لأهل ولايته * ومنح شيعته مقبول
 شفاعته * وعلى الأئمة من ذريتها خلفاء الله على خلقه * والقائمين
 بواجب حقه * والعاملين في سياسة الكافة بما يرضيه سبحانه *
 ويضمن غفرانه ورضوانه * وسام عليهم أجمعين * سلاماً باقياً الى
 يوم الدين * وان أحق النعم بنشر الذكر * وأوجبها للوصف
 واعمال الفكر * نعمة رفعت الشك وأزالت اللبس * ووضح

عمه وخواص دولته وامرائها واجنادها وكتابها وقضائها وكافة رعيها

ضياؤها لا ولي الألباب وضوح الشمس * واشترك فيها الناس
 فتضاعفت الفائدة لديهم * وانتفعوا بذلك في تواريخهم ومعاملاتهم
 وما لهم وعائهم * وتلك المعرفة باليوم الذي هو مطلع السنة
 وأولها * ومبدؤها ومستقبلها * وحقيقة ذلك ظهور امام كل
 زمان * وكان ظهور امام زماننا مولانا وسيدنا الأمام فلان *
 وتساوى في الشرف برؤيته العامة والخاصة . فكان استقلال
 ركابه اشعاراً بأن اليوم الذي تجلى فيه لأوليائه . ولرعاياه المتفنيين
 ظل لوائه * هو افتتاح السنة واول محرما . وعليه المعتمد في عدد
 تام الشهور وناقصها من مفتحها الى مختمها . يوم كذا غرة
 المحرم من سنة كذا في عساكر لا يحصر عددها . وقبائل لا
 ينقطع مددها * واذا اضطربت نار الكفر والتهبت * طفت
 بأنوارهم وخبت * وقد تقلدت هندية تروع اذا اشرقت وسكنت *
 فما الظن اذا اصطحبت * والارض بمروره عليها مبهجة موفقه *
 وملائكة الله عز وجل حافة به محدقه * فأذن بأن اليوم
 المذكور هو غرة السنة المعينة * وان اليوم الفلاني أمسه انسلاخ
 سنة كذا المتقدمة * لتستقيم أمورهم على أعدل نهوجهم *
 وليحفظ نظام دينهم في صومهم وفطرهم وحجهم * ولذلك

أصدر هذا الكتاب ليتلوه الامير على من يسكن عمله * وجميع
 من قبله * ويتأملوا في معرفته ويحمل كل منهم الأمر عليه في
 معتقده وأسباب معاملته . ويشكر والله على النعمة عليهم بهديته *
 وهو يعتمد ذلك ويطلع بمكاتبته فيه ان شاء الله تعالى
 وقد اطلعت للمترجم في « صبح الأعي » على مكتوبة
 بالبشارة بركوب اول رمضان اوردها مسبوقه بشيء عن
 ركوب هذا اليوم نقلا عنه أيضاً قال :
 وهذا الموكب قائم عند الشيعة مقام روية الهلال والامر في
 العرض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق
 المسلوكة على ما تقدم في اول العام من غير فرق . ويكتب الى الولاة
 والنواب والاعمال بالبشائر وهذه نسخة كتاب من انشاء ابن
 الصيرفي للبشارة بالسلامة في ركوب اول شهر رمضان :
 « الحمد لله كالم خلقه في اليقظة والمنام . والكافل لهم بمضاعفة
 الاجر في شهر الصيام . وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه
 رحمة للانام . وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابي
 طالب اخلص ولي وأشرف وصي وافضل امام . وعلى الأئمة
 من ذريتهما الداعين الى دار السلام . صلاة دائمة الاتصال . مستمرة
 في الغدو والآصال . وان من المسرة التي تهاذى . والنعمة

الشاملة الخلق جميعاً وفرادى . ما من الله به من ظهور مولانا
وسيدنا الامام فلان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين
وأبنائه الاكرمين ، يوم كذا غرة شهر رمضان من سنة كذا
اعلاما باول الشهر وافتتاحه . وان أول الصيام من فجره
الاول قبل تنفس صباحه . وتوجهه الى ظاهر المعزية القاهرة
المحروسة في عساكره المظفرة وجنوده . وأوليائه وأنصاره
وعبيده . والمنة برؤيته قد تساوى فيها الكافة . وملائكة الله
مطيفة حافة . وعوده الى قصوره الزاهرة . وقد شمل المستظلين
بأفيائه . بسعادة الدنيا والآخرة اصدر اليك هذا الامر لتقف
على الجملة . وتشكر النعمة السابعة على اهل الملة . وتتلوها على
اهل عمالك وتطالع بمكاتبتك في ذلك فاعلم هذا واعمل به
ان شاء الله »

وعثرت له أيضاً على سجلات البشارة بركوب الخليفة في ايام
الجمع الثالث من شهر رمضان . وهي الثانية والثالثة والرابعة
وقبل ايرادها انقل عنه وصف مواكبها قال

اذا ركب الى الجامع الانور يباب البحر بكر صاحب
بيت المال الى الجامع بالفرش المختص بالخليفة محمولاً على أيدي اكابر

الفراشين ملفوفاً في العراضى الديقى فيفرش في المحراب ثلاث طراحات
 بيضاء منقوشة بالجمرة وتفرش واحدة فوق واحدة ويملق ستران بيضاء
 ويسرة في الستر الايمن مكتوب برقم حرير احمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة،
 وفي الستر الايسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة
 مضبوطة. ويصعد قاضي القضاة المنبر وفي يده مدخنه لطيفة خيزران
 يحضرها اليه صاحب بيت المال وفيها زبد مثلك لا يشم مثله الاهاك
 فييخر ذرورة المنبر التي اعينها القبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث
 دفعات. ويركب الخليفة في هيئة ماتقدم في اول العام وأول رمضان
 من المظلة والآلات. ولباسه فيه الثياب البيضاء غير المذهبة توقير للصلاة
 والمنديل والطيلسان المقور وحول ركابه خارج الركابية قراء الحضرة
 من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نوبة بعد نوبة من حين ركوبه
 من القصر الى حين دخوله قاعة الخطابة. فيدخل من باب الخطابة
 فيجلس فيها وان احتاج الى تجديد وضوء فعل. ويحفظ المقصورة من
 خارجها بترتيب أصحاب الباب واسفهلار وصبيان الخاص وغيرهم
 ممن يجرى مجراهم من اولها الى آخرها وكذلك من داخلها من باب
 خروجه الى المنبر فاذا اذن للجمعة دخل اليه قاضي القضاة فقال :
 السلام علي امير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته،
 الصلاة يرحمك الله ! فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير
 وراءه ومن يليهم من الامراء من صبيان الخاص وبايديهم الاسلحة
 حتى ينتهي الى المنبر فيصعد حتى يصل الى الذرورة تحت القبة المبخرة

والوزير علي باب المنبر ووجهه اليه . فاذا استوى جالساً اشار الى الوزير بالصعود فيصعد الى ان يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس . ثم يزر عليه تلك القبعة وتصير كالمهودج . ثم ينزل مستقبلاً للخليفة ويقف ضابطاً للمنبر . فان لم يكن وزير صاحب سيف كان الذي يزر عليه قاضي القضاة ويقف صاحب الباب ضابطاً للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من سفظ يأتي اليه من ديوان الانشاء ويقرأ فيها آية من القرآن الكريم ثم يصلي فيها علي ابيه وجده يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويمط الناس وعضاً بليغا قليل اللفظ ويذكر من سلف من آباءه حتي يصل الى نفسه فيقول : اللهم وانا عبدك وابن عبدك لا أم لك لنفسى ضراً ولا نفعاً . ويتوسل بدعوات تليق به ويدعو للوزير ان كان ثم وزير وللجيوش بالنصر والتألف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يتم بقوله « اذكروا الله يذكركم » (١) فيطلع اليه من زر عليه فيمك ذلك التزير عنه وينزل القهقري فيدخل المحراب ويقف علي تلك الطراحت اماماً والوزير وقاضي القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والاقلام والموءذون وقوف وظهورهم لما نط المقصورة (٢) والجامع مشحون بالماء للصلاة وراهه فيقرأ

(١) يريد بهذه الآية ان يذكركم بنفسه حتى يفكوا الازرار عنه وقد بقيت خطباء المنابر عادة وان أرادوا بها غير ما أراد

(٢) كانت العادة ان يصلي تحت عقد المنبر كاتب الدست واهله

في الركعة الاولى ما هو مكتوب في الستر الايمن وفي الثانية ما في الستر
الايسر . فاذا سمع الخليفة سمع القاضي المؤذنين فيسمع المؤذنون
الناس . فاذا فرغ خرج الناس وركبوا اول فأول وعاد الى القصر
والوزير وراه حتى يأتي الى القصر والطبول والبوقات تضرب
ذها باوايا بابا . فاذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر ركب الى الجامع الازهر
كذلك وفعل كما فعل في الجمعة الاولى لا يختلف في ذلك غير الجامع .
فاذا كانت الجمعة الرابعة منه ركب الى الجامع العتيق بمصر ويزين له
اهل القاهرة من باب القصر الى الجامع الطولوني . ويزين له اهل مصر
من الجامع الطولوني الى الجامع العتيق . وقد ندب الواليان بالبلدين من
يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويدير في الشارع الاعظم
بمصر يمشي في شارع واحد بين العمارة الى الجامع العتيق بمصر فيفعل
كما فعل في الجامعين الاوامين من غير مخالفة . فاذا قضي الصلاة عاد الى
القاهرة من طريقه الى ان يصل الى قصره . وفي خلال ذلك كله لا يمر
بمسجد الا اعطي اهله ديناراً علي كثرة المساجد في طريقه
وهذه هي نسخ السجلات المذكورة :

(سجل الجمعة الثانية)

«أفضل ما سير ذكره ، ووجب حمد الله تعالى عليه وشكره ،
ما عاد على الشريعة بالجمال والبهجة ، وأضحى واصفه صحيح

ومتولى ديوان الانشاء ولا يمكن غيرهم ان يكون معهم

المقال صادق الهمجة، فضاعف حسنه ومحص سيئه وجعل اسباب
السعادة متمسكه متهيئة * وذلك مايسره الله تعالى من استقلال
ركاب سيدنا ومولانا صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين،
وأبنائه الاكرمين، يوم الجمعة من شهر رمضان من سنة كذا
مؤديا خطبتها وصلاتها، وضامنا لامة ائتمت به خلاصها يوم
الفرع الاكبر ونجاتها، في وقار النبوة وسكينة الرسالة، والهيبة
المستولية على العظمة والجلالة والعساكر الجمة التي تعلق بمهابتها
وتزعج، وتظن لكثرتها واقفة والركاب تهملج * ولما انتهى اليه
خطب ووعظ ففتح ابواب التوبة، وآب الى الطاعات من لم
يطمع منه بالآوبة، وصلى صلاة تقبلها جل وعز بقبول حسن
وقصر في وصفها ذوو الفصاحة واللسن، وعاد الى مستقر الخلافة،
ومشوى الرحمة والرافة، وعين الله له ملاحظة، وملائكته له
حافضة * اعلمت ذلك لتذيعه في اهل عمك وتطالع بمكاتبك

(سجل الجمعة الثالثة)

لم يزل غامر كرم الله وفضله، يفوز حاضره ما كان من
قبله . فنعمة الله تعالى سابعة . ومننه مستابعة . وملايسها ضافية .

ومغارسها نامية . وسحائبها هامية . وهو جل وعز يضاعفها على
من صلى وصام . ويواليها عند من تمسك بالعروة الوثقى التي
لا انفصال لها ولا انفصام . ويجدد من ذلك ما كان من بروز
مولانا وسيدنا الامام فلان . صلوات الله عليه وعلى آبائه
الطاهرين . وأبنائه الاكرمين . يوم الجمعة من شهر رمضان من
سنة كذا في شامخ عزه وباذخ مجده وتوجهه الى الجامع
الانور المنسوب الى مولانا الامام الحاكم بأمر الله جده
سلام الله عليه وصلواته . وبركاته ونحياته . وعساكره قد تجاوزت
الحد . وكثرت عن الاحصاء والعد . فاذا تأملها الطرف انقلب
عنها خاسئاً وارته . ولما وصل الى الجامع المذكور ختلب فأورد
من القول أحسنه . ووعظ فأسمع من الوعظ أوضحه وأبينه .
وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها . وعاد الى قصوره الشريفة
وقد شملت البركات برؤيته . ووفق من عمل بموعظته . ونجا
من اقتدى به في صلاته . واستولى على السعد من جميع أرجائه
وجهاته . أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به فاشكر الله سبحانه
بمقتضاه واعتمد تلاوة هذا الامر على رءوس الاشهاد
فاعلم ذلك

﴿ سجل الجمعة الرابعة ﴾

«من عوائد الله سبحانه الاحسان الى عبده وتعويضهم
الشكر عليه بنموه ومزيدة . والامتنان بتيسير عصيه
وتعجيل قصيه وتقريب بعيدته * فهو لا يخايهم من نواجه . ولا
يفنيهم من هواجه * ولما اقبل هذا الشهر الشريف كان من
عموم بركاته . وشمول خيراته . ان مولانا وسيدنا الامام القلاني
صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين . وابنائهم الاكرمين .
والى فيه بركاته . وازكى أعمال المؤمنين في استماع اختطابه
والإتمام بصلاته * وفي هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر
رمضان اعلم ركابه الى الجامع العتيق بمصر ليسهم لهذه المدينة
من حظي الدنيا والآخرة . مثل ما أسهمه وعجمله لأهل المعزية
القاهرة . فكانت يعجز وصفها كل لسان * وظهر عليه السلام
في الرءاءين: السيف والطيلسان . والجيوش قد انبسطت
وانتشرت . والنفوس قد اتهجت واستبشرت . والألسنة
قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت * وعند وصوله
خطب فأحسن في الالفاظ والمعاني . وحذر من تأخير التوبة
والتضييع فيها والتواني . وصلى صلاة شرفها الله وفضلها .

ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها . وانكفأ عائداً الى قصوره
ومنازله المعظمة . ضاعف الله له ثوابه وأجره . وأوجب شكره .
ورفع ذكره . ويجب ان يعتمد اذاعة ذلك ليبالغ الكفاية في
في الاعتراف بالنعمة فيه . ويواصلوا شكر الله تعالى عليه
والمطالعة بما اعتمد فيه .»

°°

هذا ولهم عادة بالركوب في أيام غير هذه ويكون ركوبهم
إما في يوم السبت او الثلاثاء ولا تتجاوز مرات ركوبهم من
المحرم الى شهر رمضان خمس مرات . ويذهبون في
ركوبهم الى الجامع العتيق شاقين القاهرة وشوارعها الى جامع
ابن طولون على المشاهد . فاذا وصل الى بابه وجد الخطيب
وفي يده المصحف المنسوب خطه الى علي بن ابي طالب (رضه)
فيناوله المصحف فيتسلمه منه ويقبله مراراً ويعطيه صاحب
الخريطة المرسومة للصلاة ثلاثين ديناراً فيوصلها الى مشارف
الجامع ويكون نصيبهما فيها خمسة عشر والباقي للقومة والمؤذنين .
ثم يسير الى ان يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ولا يمر في
طريقه بمسجد الا اعطى قيمه من الخريطة ديناراً . وهناك تأتيه

المائدة من القصر فيأكل هو والوزير وكبار الدولة والباقي يوزع
 علي سكان مصر . وبعد العصر يرجع الى القاهرة وزيه في
 هذه الركوبات الثياب البيض المذهبة والمنديل من النسبة
 مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذو ابته مرخاة من
 جانبه الايسر ويتخذ السيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة
 ولا يتيمة فان ذلك انما يكون في اوقات مخصوصة . وفي
 رجوعه ينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا
 القاهرة حتي يدخل القصر

وعثرنا له أيضاً على عدة سجلات ذكرها القلقشندی
 والمقریزی بمناسبة ركوب عيد الفطر نهد لذكرها بكلمة في
 وصف الموكب (١) نقلا عن القلقشندی . قال :

(١) يظهر انه لم يكن الخليفة علي عهد امير الجيوش بدر الجمالي
 وولده الافضل ليذهب الى المصلي بموكبه استبداداً منهما على الخلفاء
 قال المقریزی : ولما توفي امير الجيوش بدر الجمالي وانتقل الامر الى
 ولده الافضل جرى على سنن والده في صلاة العيد فكان يقف على
 باب دار الوزارة حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى
 الابوان ويصلي به الفاضل ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى ان
 تنقضي الخطبة فيدخل من باب الملك على الخليفة بحيث لا يراه احد

اما عيد الفطر فيقع الاهتمام بركوبه في العشر الاخير من رمضان وتعبى
 أهبة المواكب على ما تقدم في اول العام وغيره . وكان خارج باب النصر
 مصلى على ربوة وجميعها مبني بالحجر . ولها سور دائر عليها . وقلعة على بابها .
 وفي صدرها قبة كبيرة بها محراب . والمنبر الى جانب القبة وسط المصلى
 مكشوفاً تحت السماء ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة اذرع وفي
 اعلاه مصطبة . فاذا اكمل رمضان وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير تقصص -
 وكان اليوم الاول من شوال صار صاحب بيت المال الى المصلى
 خارج باب النصر وفرش الطراحت بمحراب المصلى كما تقدم في
 الجوامع في أيام الجمع ويعلق ستيرين يمنة ويسرة : في اليمين « الفاتحة
 وسبح اسم ربك الاعلى » وفي اليسر « الفاتحة وهل انك حديث
 الغاشية » ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رحمين ملبسين
 بأنايب الفضة وهما منشوران سرخيان . ويوضع على ذروة المنبر طراحة

غيره ثم يجتمع عليه ويتوجه الى داره . فلما قتل الافضل واستقر بعده
 المأمون بن البطائحى في الوزارة قال هذا تقصص في حق العيد ولا يعلم
 السبب في كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الامر باحكام الله فما
 تراه انت ؟ قال يجلس مولانا في المنطرة التي استجدت بين باب الذهب
 وباب البحر وتفتح الطاقات فيقف المملوك بين يديه وتجاوز العساكر
 فارسها وراجلها وتشم لها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة
 توجه المملوك بالموكب والزي وجميع الامراء والاجناد (يعنى في
 خدمة الخليفة الى المصلى) فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ
 في شكره

من شاميات اودبيق . و يفرش باقيه بستر من بياض على مقداره في تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشي وغيره . ويجعل في أعلاه لوآن مرقومان بالذهب يمنة ويسرة . ثم سار الوزير من داره الى قصر الخليفة على عادته المتقدمة الذكر . ويركب الخليفة بهيئة الموكب العظيمة على ما تقدم في اول العام من المظلة والتاج وغير ذلك من الآلات . ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة وهي أجل لباسه ومظلته كذلك . ويخرج من باب العيد على عادته في ركوب الموكب . الا ان العساكر في هذا اليوم من الامراء والاجناد والركبان والمشاة تكون اكثر منها في غيره . وينتظم القوم لصفين من باب القصر الى المصلى . ويركب الخليفة الى المصلى فيدخل من شرقها الى مكان يستر بح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظاً بحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير الى المحراب والوزير والقاضي وراءه كما تقدم فيصلي صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة ويقرأ في الركعة الاولى ما في الستر الذي على يمينه وفي الثانية ما في الستر الذي على يساره . فاذا فرغ وسلم صعد المنبر لخطابة العيد . فاذا انتهى الى ذروة المنبر جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس ويقف اسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب واسفهلار وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف والاقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح وتقيب الاشراف الطالبين ثم يشير الخليفة الى الوزير بالصعود فيصعد حتي ينتهي الى الدرجة الثالثة

ويكون وجهه مواز يارجلي الخليفة فيقبلها بحيث يراه الناس ثم يقوم فيقف على يمنة الخليفة . فاذا وقف اشار الى قاضي القضاة بالصعود فيصعد الى سابع درجة ثم يتطلع اليه منتظرا ما يقول فيشير اليه فيخرج من كه درجاً قد أحضر اليه في امسه من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه فيقول بعد البسملة : تشرف بصعود المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابائه الاكبريين بعد صعود السيد الاجل (ويذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) من يشرفه الخليفة بصعود المنبر من اولاد الوزير ثم القاضي ولكنه يكون هو القارىء فلا يسهه ذكر نعوته فيقول المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك . ثم الواقفون على باب المنبر ممن تقدم ذكرهم بنعوتهم واحدا واحدا وكلاما ذكر واحدا استدعاه وطلع المنبر كل منهم يعرف مقامه في المنبر يمنة ويسرة . فاذا لم يبق أحد ممن يطلع الى المنبر اشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيباً من اللوآء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون وينادي الناس « الانصات ! » فيخطب الخليفة خطبة بليغة مناسبة لذلك المقام يقرأها من السفط الذي يحضر اليه مسطرا من ديوان الانشاء كما في جمع رمضان المتقدمة الذكر . فاذا فرغ من الخطبة اتى كل من في يده شيء من اللوآء خارج المنبر فينكشفون وينزلون القهقري أول باول الاقرب فالاقرب فاذا خلى المنبر للخليفة هبط ودخل المسكن الذي خرج منه فيلبث قليلا ثم يركب في هيئته التي آتى فيها الى

المصلى ويعود في طريقه التي أتى منها . فاذا قرب من القصر تقدمه
الوزير على العادة ثم يدخل من باب العيد الذي خرج منه فيجلس
في الشباك الذي في الايوان الكبير وقد مد فيه الى فسقية في وسط
الايوان مقدار عشرين قصبة سماط فيه من الخشكان والبسندود (١) وغير
ذلك مما يعمل في العيد مثل الجبل الشاهق كل قطعة ما بين ربع قنطار
الى رطل واحد فياكل من ياكل وينقل من ينقل لا حجر عليه ولا
مانع دونه ثم يقوم من الايوان فيركب الى قاعة الذهب فيجد سرير
الملك قد نصب ووضع له مائدة من فضة ومد السماط تحت السرير
فيترجل على السرير ويجلس على المائدة ويستدعي الوزير فيجلس معه
ويجلس الامراء على السماط ولا يزال كذلك حتى يستهزم السماط
قريب صلاة الظهر ثم يقوم وينصرف الوزير الى داره والامراء في
خدمته فيمد لهم سماطاً يأكلون منه وينصرفون

هذا ما أردنا ايراده تمهيداً لذكر سجل عيد الفطر .

واليك الآن نصه :

« أما بعد فالحمد لله الذي رفع بأمر المؤمنين عماد الايمان
وثبت قواعده ، وأعز بخلافته معتقده ، وأذل بمهايته معانده ، وأظهر
من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الاظلام ، ونسخ به

(١) يشبه ان يكون ذلك من نوع الكمك فان خشكان مركبة

من كلمتين فارسيتين خشك بمعنى ناشف ونان اي الخبز

ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم
 بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه . واوجب دخول الجنة
 وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه . وصلى الله على سيدنا
 محمد نبيه الذي اصطفى له الدين . وبعثه الى الأقربين والأبعدين .
 وايده في الارشاد حتى صار العاصي مطيعا . ودخل الناس في
 التوحيد فرادى وجميعا . وغدوا بعروته الوثقى متمسكين . وانزل
 عليه « قل اني هداى ربي الى صراط مستقيم دينا قويا ملة ابراهيم
 حنيفا وما كان من المشركين » . وعلى اخيه وابن عمه ايننا امير
 المؤمنين علي بن ابي طالب امام الامة . وكاشف الغمة . واوجه
 الشفعاء لشيعته يوم العرض . ومن الاخلاص في ولائه قيام بحق
 واداء فرض . وعلى الائمة من ذريتهما سادة البرية . والعادلين في
 القضية . والعاملين بالسيرة المرضية . وسلم وكرم . وشرف
 وعظم . وكتاب امير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من
 سنة ست وثلاثين وخمسمائة . وقد كان من قيام امير المؤمنين بحقه
 وأدائه ، وجريه في ذلك على عادته وعادة من قبله من آباءه . وما ينبئك
 به . ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه . وذلك ان دنس ثوب الليل
 لما بيضه الصباح . وعاد المحرم المحظور بما اطلقه المحلل المباح .

توجهت عساكر امير المؤمنين من مظانها الى بابه . وافطرت
 بين يديه بعد ما حازته من اجر الصيام وثوابه . ثم اثنت الى مصافها
 في الهيات التي يتصر عنها تجريد الصفات . وتعنى مهابتها عن
 تجريد المرهفات . وتشهد اسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم .
 وتلقى مواضعها في انعامها شوقا الى الطي والقمم . وقد امتلأت
 الارض بازدهام الرجل والخييل . وثار العجاج فلم ير اغرب من
 اجتماع النهار والليل . وبرز امير المؤمنين من قصوره . وظهر
 للابصار على انه محتجب بضياءه ونوره . وتوجه الى المصلى في هدى
 جده وابيه . والوقار (١) الذي ارتفع فيه عن النظر والشبيه . ولما
 انتهى اليه قصد المحراب واستقبله . وادى الصلاة على وضع رضيه
 الله وتقبله . واجرى امرها على افضل المعهود . ووفاهما حقهما من
 القراءة والتكبير والركوع والسجود (٢) وانتهى الى المنبر

(١) يشير الى شدة الوقار التي مر بك ذكرها وهي العمامة

(٢) قال ابن زولاق وركب المغزلين الله يوم الفطر لصلاة العيد
 الى مصلى القاهرة وكانت خارج باب النصر في زيه وبنوده وقيامه وصلى
 بالناس صلاة العيد تامة طويلا سبحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة
 نيفا وثلاثين تسبيحة وجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة .
 فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا . ثم ستر

فعلا وكبر الله . وهالله علي ما أولاه . وذكر الثواب علي اخراج
الفطرة وبشر به . وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة علي الخير
وقربه . ووعظ ووعظا ينتفع قابله في عاجلته ومنقلبه . ثم عاد الي
قصوره الزاهرة مشمولا بالوقاية . مكنوفاً بالكفاية . منتهياً في
ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية . اعلمك امير المؤمنين خبير
هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه . وتعلن بتلاوته علي الكفاية
ليشركوا في معرفته ويشكروا الله عايه . فاعلم هذا واعمل
به ان شاء الله تعالى «

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك والدولة مشتملة علي
وزير عن الحافظ لدين الله العلوي خليفة الديار المصرية في

بالستين الذين كانا علي المنبر نخطب وراهما علي رسمه وكان في اعلي
درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عابها بين الخطبتين واستفتح
الخطبة بالبسملة . وكان معه علي المنبر العائد جوهر وعمار بن جعفر
وشفيق صاحب المظلة ثم قال الله اكبر الله اكبر وخطب وابلغ وابكي
الناس وكانت خطبته بمخشوع وخضوع . فلما فرغ من الخطبة انصرف
في سكره وخافه اولاده الاربعة بالجواشن (الدروع) والخود
علي الخيل بأحسن زي وساروا بين يديه بالقبيلين . فلما حضر في قصره
احضر الناس فاكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الي الطعام وعتب
علي من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد

سنة احدى وثلاثين وخمسة مائة وهي :

« الحمد لله الذي اعز الاسلام وشيد مناره ، وايد اوليائه
ونصر انصاره ، واظهر في مواسمه قوته واستظهاره ، وختم
الشرائع بشرف ابدى فكان حظها منه ايثاره ، وحظ الاسلام
استبداده به واستيثاره ، وصلى الله على جدنا محمد الذي كرمه
باصطفائه ، واسعد من حافظ على اتباع نهجه واقتفائه ، وبين
بشرعه ما حلله وحرمه ، ودعى الامة بأرساله الى دين قيم اعلى
بناؤه واحكمه ، ووعدهم على مفروضه ومسئولته ، جزيل الاجر ،
وأمر في اعتقاد خلافه بالدفع والمنع والزجر ، وعلى أخيه
وابن عمه أئمة امير المؤمنين علي بن ابي طالب اول الأئمة
الخلفاء ، والمشهرة فضائله اشتهاً ليس به من خفاء ، ومن
حباة الله المحل الرفيع والمن الجزيل ، وخصه من الشرف بما
جاء فيه من محكم التنزيل ، وعلى الأئمة من ذريتهما القائمين
بفرض الله والمؤدين لحقوقه ، والذين كفلت امامتهم بانبساط
نور الحق وانتشار لوائه وخفوقه ، وسلم وكرم ومجد وعظم ،
وكتاب امير المؤمنين اليك يوم كذا عيد الفطر من سنة احدى
وثلاثين وخمسة مائة الذي امر الله فيه بما نهى عنه من قبله ،

وضاعف الاجر بكرمه وفضله ، فرفع تكاليف الصوم .
واوجب الأفاطار في هذا اليوم ، وساوى في ذلك كل منهم
ومنجد ، وامر بنى آدم فيه بأخذ الزينة عند كل مسجد . وكان
من خبره ان الفجر لما طلع مبشرا بالشمس ، ومؤذنا يبعثها
من الرمس ، تتابعت الجيوش الموفورة ، والعساكر المنصورة ،
الى ابواب القصور الزاهرة ، توكننا لأنوار امير المؤمنين (١)
وترقبا لظهوره قاضيا حق الدين . فلما اسفر الصبح واضاء ،
وملأ الخلائق الفضاء ، تجلى من افلاك امامته ، وبرز فانبط
كل مؤمن بنباته على المشايعة واقامته ، وكان ظاهرا وهو
محتجب بالأنوار ، وممتعا وهو منتهب بالابصار ، والكافة
يصاحفون الارض ويجهدون في الدعاء باخلاص نياتهم ،
والعساكر المؤيدة لو انها عممت الارض بتطبيقاتها ، وسارت بين
قريبها وسحيقها ، وصارت كالجبال الرواسي فيها ، لكانت
قد ترزلت ومادت بأهاياها ، وهي مع تباين اجناسها وطوائفها ،
متظافرة على معاند الدولة ومخالفتها ، متلائمة على الولاء متمالئة

(١) التوكن في الاصل حسن الاتكاء في المجلس وقصد به هنا

على الأعداء، تنلفت الى المجاهدة كأنها الاسود اقداما ولباسا،
وكأنها فصلت جوامد الغدران سلاحاً لها ولباساً، والسيد
الاجل الافضل (١) الذي عظمت به المواهب وجلت، وذهبت
بوزارته الغياهب وتجلت، وتهلل بنظره وجه الملة وكان
عابساً، واعاد الدولة معصراً وقد كانت قبله عانساً (٢)، وحسنت
الديا بأيامه اذ ليس فيها من يضاھيه، وانتظمت امورها على
الارادة بصددورها عن اوامره ونواھيه، فرتب المواكب
بمهابته، وتستغنى بتوغلها في القلوب عن ايمائه واشارته، وكل
طائفة مقبلة على شأنها لازمة لمكانها، منصرفة على تهذيبه
وتقريره، عاملة باذائه فوقوقها بوقوفه ومسيرها بمسيره،
وتوجه امير المؤمنين الى المصلى، مخفوقا بانوار تجلى، ما انشأته
سنا بك الخليل وتمحو آية تقع قام مشارها مقام ظلام الليل، وعاليه
من وقار الامامة، وسكينة الخلافة، ما خصه الله تعالى به دون البرية
وحده، لانه مماورث أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وجمده

(١) هو الافضل بن ولخشي وزير الحافظ وهو غير الافضل

شاهنشاه المتوفى سنة ٥١٥ هجرية

(٢) اي أعاد الدولة شابة بعد ان كانت عجوزاً

ولما انتهى الى المحراب وامه . وادى الصلاة اكل آداء
واتمه . قصد المنبر فعلاه ، ومجد الله تعالى وحمده على ما اولاه .
ووعظ ووعظاً خوف عاقبة المعاصي والذنوب ، وحل وكاء
العيون وداوى مرض القلوب ، وامر بسلوك سبيل الطاعات
وافعال البر ، وحث على التوفر عليها في الجهر والسر . وعاد
الى قصوره المكرومة ومواطنه المقدسة وقد بذل في نصحه
لله ولرسوله وللمؤمنين جهده . وفعل في الارشاد والهداية
ما لا غاية بعده * انباك امير المؤمنين خبر هذا اليوم لتشكر
الله على النعمة فيه ولتذيعه قبلك على الرسم فيما يجاريه . فاعلم
هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك مع خلو الدولة عن
وزير من انشاء ابن الصيرفي :

« الحمد لله ناشر لوائه في الاقطار ، ومعرض المطيعين من
جزائه لبلوغ الاوطار ، الذي نسخ الافطار بالصيام ونسخ
الصيام بالافطار ، وكلف عباده ما يطيقونه ووعد عليه اجزل
اجره ، واسبع من نعمه ما لا يطمع بواجب حمده عليه وشكره *
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اعلن بالايان وباح وبين

المحظور في الشريعة والمباح ، وارشده الى ما حرمه الاسلام
 وحلله ، ومهد سبل الهدى لمن استغواه الشيطان وضلله ،
 وأوضح مراتب الاوقات ومنازلها ، وعرف تفاوت الايام
 وتفاضلها ، وعلى اخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابي
 طالب الذي مضت في الله عزماته ، وبيضت وجهه الدين
 الحنيف موافقه ومقاماته ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين
 تكفلوا أمر الأمة نصاً ، واتضوا على منارها فلم يألوا جهداً
 ولم يتركوا حرصاً ، فال حاضر منهم يوفي علي من كان قبله ، واحزاب
 الحق فرحين بما أنعم الله من فضله ، وسلم عليهم أجمعين
 سلاماً لا انقطاع لدوامه ، وشرفهم تشریفاً لا انفصام لأبرامه ،
 وأسنى ومجد ، وتابع وجدد

وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد الفطر
 من سنة كذا بعد ان وفي الصيام حقه ، وحاز اجر من جعل
 الله على خزائنه رزقه ، وبعد ان أفطر بحضرة الاولياء من
 آله واسرته ، والمقدمون من رؤساء دولته والمتحيزون من
 اوليائه وشيعته (١) ، وكان من نبأ هذا اليوم ان أمير المؤمنين

(١) وصف المقرئ سباط عيد الفطر نقلاً عن بعض مؤرخي

لما ارتقب بروزه من قصوره ، وتجلي فأشرقت الارض بنوره ،
توجه الى المصلى قاضيا لسنة العيد فكانت زئمة ظهوره
بالنظر وبالخبر البعيد . واستقل ركابه بالعساكر المنصورة التي
ابدت منظراً مفتتاً معجباً . وجعلت اديم الارض بالخييل والرجل
محتجياً ، وذخرت الاتقام ممن شق العصا . وتجاوزت في الكثرة
عدد الرمل والحصى . وزينت الفضاء بهيئتها . وردعت الاعداء

القواطم فقال اذا ركب الخليفة لصلاة العيد تحلى قاعة الذهب للسماط
وينصب فيها مائدة من فضة تالفي موضع اخر ان طولها ثلاثمائة ذراع
وعليها اواني الفضييات والذهبيات والسيني الحاوية للاطعمة الخاص
الشهية من غير خضر اوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة
الطيبة فيفرش فوق ذلك السماط وعرضه عشرة اذرع الازهار ويرص
الحبز على حافتيه ويعمر داخل السماط على طوله باحد وعشرين طبقاً
في كل طبق احد وعشرون ثنياً سميناً مشويماً وفي كل من الدجاج
والفراريج وفراخ الحمام ثلاثمائة وخمسون طائراً فيكون بقامة الرجل
الطويل ويسور شرايح الحلوى اليابسة ثم يسد خلل تلك الاطباق
بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي متربعة
بالالوان الفاتحة من الحلوى فلا يبعد ان تناهز عدة الصحون المذكورة
خمسائة صحن ويرتب ذلك احسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى
حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير
على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التي في عمامتها السمة

بهيبتها . وجمعت بين الطاعة وشدة لباس . وادرعت من
 من التقوى امتع جنة واحصن لباس . ولم يزل سائراً في
 السكينة والوقار . ناظراً للدنيا بالاحتقار ، والثرى بالجباه
 والشفاه مصافح ماثوم ، فهما موسومتان به ، وهو بهما موسوم .
 الى ان وصل الى مقر الصلاة . ومحل المناجاة فصلى اتم صلاة
 واكملها ، وادائها احسن تأدية وافضلها ، واخاص في التكبير

ويلبس سواها من خزائن الكسوات وكان يعمل بدار الفطرة قصران
 من حلوي في كل واحد سبعة عشر قنطاراً فنهما واحد يمضي به من
 طريق قصر الشوك الى باب الذهب والآخر يشق به بين الفصيرين بحمله
 العتالون ينصب أحدهما في أول السباط والثاني في آخره وهما شكل ملبح
 مدهونان بأوراق الذهب فاذا جلس الخليفة على السرير أمام المائدة
 قام على رأسه اربعة من كبار الاستاذين المخنكين واربعة من خواص
 الفراشين ثم يستدعى الوزير فيجلس عن يمينه ويستدعى الامراء
 المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجاسون على السباط كقيامهم
 بين يديه فيستولى على ذلك العمول الآكلون وينقل الى دار ارباب
 الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السباط اه .

أقول لا يستغربن الفارسي هذا الوصف اذ جاء في مرثية للفقيه
 عمارة اليمنى ما يؤيد ذلك حيث قال يخاطب الفواطم
 ولا حملتم قرى الاضياف من سعة ال
 أطباق الا على الاكثاف والعجل

والتهيل ونصح في ارشاده ووعظه ، واعرب بسديع معناه
وفصيح لفظه، وعاد الى مشوي كرامته ، وفلك امامته ، محمود
المقام ، مشمولاً بالتوفيق في النقض والابرار * اعلمك أمير المؤمنين
ذلك لتذيعه فيمن قبلك ، ويشكروا الله على النعمة الشاملة لهم
ولك . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكتب في اليوم
المذكور «



وقد قرأت للمتروجم عدة سجلات بعث بها من ديوان
الانشاء بالبشارة بركوب الخليفة في عيد النحر بعضها ذكرها
المقريزي والبعض ذكر في القلقشندي اورد لكل واحد منهما
سجلا واقدم عليهما تمهيداً في ترتيب الموكب نقلا عن
القلقشندي قال :

اذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوب الخليفة ، فاذا كان يوم
العيد ركب على ما تقدم في عيد الفطر من الزي والترتيب والركوب
الى المصلي ، ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ومظلمته كذلك .
ويخرج الى المصلي خارج باب النصر ويخطب ثم يعود الى القصر كما
في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ثم بعد دخوله الى القصر يخرج
من باب الفرج وهو باب القصر الذي كان مسامتا لدار سعيد السعداء الآن

فيجد الوزير راكبا على الباب المذكور فيترجل الوزير ويمشي في خدمته الى المنحر وهو خارج الباب المذكور وكان اذ ذاك فضاء واسعا لا بناء فيه وهناك مصطبة مفروشة فيطلع عليها الخليفة والوزير وقاضي القضاة والاستاذون المحنكون واكابر الدولة ويكون قد سبق الى المنحر احد وثلاثون فصيلا وناقة للاضحية وييد الخليفة حربة وقاضي القضاة يمسك بأصل سنانها وتقدم اليه الاضحية رأساً رأساً فيجعل القاضي السنان في نحر الحيرة ويطعن به الخليفة في لبتها فتحز بين يديه حتى يأتي على الجميع ثم يسبر رسوم الاضحية الى ارباب الرسوم المقررة . وفي اليوم الثاني يساق الى المنحر سبعة وعشرون رأساً ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك . وفي اليوم الثالث يساق اليه ثلاث وعشرون رأساً فيفعل بها كذلك (١)

(١) وقال المقرزي وجملة ما محرره وذبحه الخليفة خاصة في المنحر وباب السباط ألف وتسعمائة وستة واربعون رأساً تفصيله : مائة وثلاثة عشر ناقة . نحر منها في المصلي عقيب الخطبة ناقة وهي التي تهدي وتطلب من افاق الارض للتبرك بلحمها . ونحر في المنحر مائة ناقة وهي التي يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد ويتصدق منها على الضعفاء والمساكين ثم على الفقراء في القرافة . ونحر في باب السباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاحباب والحواشي اثنتي عشرة ناقة وثمان عشرة بقرة وخمس عشرة جاموسة . هذا الذي بذبحه الخليفة بيده ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفاً وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب السباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر

فاذا انتضى ذلك في اليوم الثالث وعاد الخليفة الى القصر خنع
 علي الوزير ثيابه الحمر التي كانت عليه يوم العيد ومنديلا بغير اليتمة والعقد
 المنظوم بالجوهري وركب الوزير بالخلعة من القصر وبشق القاهرة بالشارع
 سالكا الى الخليج فيسير عليه حتى يدخل من باب القنطرة الى دار
 الوزارة وبذلك انفصال العيد . وأول بحيرة تنجر تقدم وتسير الى داعي
 اليمن فيفرقها علي المعتقدين من وزن نصف درهم الى وزن ربع درهم
 وباتي ذلك يفرق علي أرباب الرسوم في أطباق للبركة . واكثرهم تفرقة
 قاضي القضاة وداعي الدعاة علي الطلبة بدار العدل ومنتصدين بجوامع
 القاهرة . وفي اليوم الاول يمد السماء ببقاعة الذهب علي ما تقدم في عيد
 الفطر من خير فرق

وهذه صورة ما اورده المقرري

« أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه .
 ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه . وأطلع بخلافة أمير
 المؤمنين كراكب سعوده . واظهر للموائف والمخالف عزة
 احزابه وقوة جنوده . وجعل فرعه سامياً نامياً واصله ثابتاً
 راسخاً . وشرفه علي الاديان بأسرها وكان لعراها فاصما
 ولاحكامها ناسخاً . يحمدده أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليفة
 وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالأماراة الخليفة . ويرغب اليه

في الصلاة على جده محمد الذي حاز الفخار اجمعه . وضمن الجنة
 لمن آمن به واتبع النور الذي انزل معه . ورفعته الى اعلى منزلة
 تخير له منها المحل . وارسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل
 وخذت ناره واضمحل . صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه
 امير المؤمنين علي بن ابى طالب خير الامة وامامها . وحبر
 الملة وبدر تمامها . والموفى يومه في الطاعات على ماضي أمسه .
 ومن اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه .
 واختصه بأبعد غاية في سورة « براءة » فنادى في الحج بأولها ولم
 يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه . لانه قال لا يبلغ عنى
 الا رجل من اهل بيتي عملا في ذلك بما امر الله به سبحانه .
 وعلى الائمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه . والقائمين في سياسة
 خلقه بصريح الايمان ومحضه . والمحكمين من أمر الدين مالا
 وجه حله ولا سبيل الى نقضه . وسلم عليهم اجمعين سلاما يتصل
 دوامه . ولا يخشى انصرامه . ومجدو كرم وشرف وعظم . وكتاب
 أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ستة
 وثلاثين وخمسةائة الذي تبلغ فجره عن سيئات محصت . ونفوس
 من آثار الذنوب خلصت . ورحمة امتدت ظلالتها وانتشرت .

ومغفرة هنأت ونشرت * وكان من خبر هذا اليوم أن أمير
المؤمنين برز لكافة من بحضورته من اوليائه . متوجهاً لقضاء
حق هذا العيد السعيد وأدائه . في عترة راسخة قواعدها متمكنة .
وعساكر حجة تضيق عنها ظروف الامكنة . ومواكب تتوالى
كتوالي السيل . وتهاب هيبة مجيئه في الليل . باسلاحة تحسر لها
الابصار وتبرق . وترتاع الافئدة منها وتفرق . فمن مشرفي اذا
ورد تورد . ومن سمهري اذا قصد تنصد . ومن عمد اذا عمدت
تبرأت المغافر من ضمانها . ومن قسى اذا ارسلت بناها وصلت
الى القلوب بغير استئذانها * ولم يزل سائرا في هدى الامامة
وانوارها . وسكينة الخلافة ووقارها . الى ان وصل الى المصلي
قدام المحراب (١) . وادى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل

(١) لم يكن ليدخل مصلي العيد غير المعروفين من داعي الدعاء
الذي كان يجاس في الدهايز ويمر به المصلون فيأذن من يعرفه منهم
بالدخول للصلاة خشية من ان يفتك بالخليفة احد من البجاة وكان
هناك مصليان غير هذه احدهما للرجال خاصة والثانية للنساء . قال المقرئ
فاذا قصد الخليفة المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح في المحراب
وسامته فيه وزيره والقاضي والداعي عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير
لجماعة المؤذنين من الجانيين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلي الرجال
ومصلي النساء الخارجين عن المصلي الكبير

حجاب . ثم علا المنبر فاستوى على ذروته . وهلل الله وكبر واثنى
على عظمته . واحسن الى الكفاة بتبليغ موعظته . وتوجه الى ما
اعد من البدن فنحره تكميلا لقربته . واتتهى في ذلك الى
ما أمر الله عز وجل . وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة
وقد رضى الله عمله . وشكر فعله وتقبله . اعلمك أمير المؤمنين
بذلك لتشكر الله على النعمة فيه . وتذيعه قبلك على الرسم مما
يجاريه . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك من انشائه :

« اما بعد فالحمد لله الذي أعلى منار الملة . وشرف مواسم
أهل القبلة . وكفل أمير المؤمنين امر الايام . كما كفله امر
الأنام . فرأى الناس من حسن سيرته ايقاظا ما لم يروه مجازا
في المنام . وصلى الله على جدنا محمد نبيه الذي أرسله الى الناس
كافة . فأطلع في ظلام الشرك شمس التوحيد وبدره . وآمن به
من شرح الله للاسلام صدره . وعصاه من تورد فائق الوزر
ظهره . وبين عبادات ككرم أجرها وعظم ثوابها . وألزم
طاعات جعل الجنة للعاملين بها مفتحة أبوابها . وعلى أخيه
وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب مظافره ومظاهره .

والمساوى في حكمه بين باطنه وظاهره . ولم يزل حاملاً على
 المحجة البيضاء جاءلاً ذلك من قربه وذخايره . قائماً بحقوق
 الله جاهراً في تعظيم حرمانه وشعائره . وعلى الأئمة من
 ذريتهما نجوم الارض وهداة أهلها . والواجبة طاعتهم على
 من في وعرها وسهلها . والذابين بالمشرفية عن حمى الشريعة .
 الذين متابعاتهم من اوجه ذريعة

وكتاب امير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد النحر
 سنة كذا وهو يوم اظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها . وأوجب
 فيه رغبة ورهبة مسارعة النفوس المخالفة الى الطاعة وابتدارها .
 وذلك ان عسكر أمير المؤمنين توجهت الى قصوره الزاهرة .
 عند اتجار الفجر . وحافظت علي ما تحوزه من كريم
 الثواب وجزيل الاجر . واستنزلت الرحمة برؤية امام الامة .
 واعدت الاخلاص في خدمته من أوفي الحرمات وأقوى
 الأذمة . واقامت الى ان برز امير المؤمنين والانوار الساطعة
 طوالعه . ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ،
 وقصد المصلي في كتاب لجبه (١) ومواكب للتعظيم مستوجبه ،

(١) يقال عسكر لجب بكسر الجيم اى عرمرم

وعزة تبيين في الشئائل والصفحات . وقوة يشهد بطيب وصفها
أرج النفحات . قد غدت عددها محكمة . وخير لها مطهمة . وذو ابها
إذا ظميت كانت مقومة . وإذا رويت عادت محطمة . تتقلد صفائح
متى اتضيت اتصفت من الجائر الخائف . ومتى اقتضبت
عملا كان اقتضاها مبيضا للصحات . وفي ظلها معاقل للآئدين
وبجدها مصارع للمنابذين . وهي للدماء هوارق . وللهمات فوالق
ولمستغلق البلاد مفاح . ولمستفتحها مغالق . ولما انتهى إلى المصلى
قضى الصلاة أحسن قضاء وأداها أفضل تأدية . واستنزل
رحمة لم تزل بصلاته متمادية . وانتهى إلى المنبر فرقيه . وخطب
خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتقيه . ووعظ
ابلق وعظ . وأبان عما للعامل بنصحه في الدنيا والآخرة من
فائدة وحظ . وعطف على الاضاحى المعدة له فخرها جريا
في الطاعات على فعلها المتهادى . وأضحت تتوقع التكميل
بإنجازه وعيده في الاعادى . فالله يقضى بتصديقه . ويمن
بتبجيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرومة مشكورا
سعيه . مضمونا نفعه . مرضيا فعله . مشموله عبيده بما هو
أهله - اعلمك امير المؤمنين ذلك فاعلم هذا واعمل به وكتب

في اليوم المذكور «

وقرأت للمترجم سجلات للبشارة بركوب الخليفة يوم
قطع الخليج آتى على ذكرها بعد التمهيد الآتى في وصف ذلك
للقلقشندي قال :

وفي زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى على النيل قبل الوفاء
وانما يؤخذ قاعه ويكتب به رقعة للخليفة والوزير ثم ينزل بديوان
الرسائل في مسير معد له في الديوان ويستمر الحال على ذلك في كل
يوم يرفع رقعة الى ديوان الانشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة
والوزير وامره مكتوم الى ان يبقى من ذراع الوفاء وهو السادس عشر
اصبع او اصبعان فيؤمر بأن يبيت في جامع المقياس تلك الليلة قراء
الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجري مجراهم لحتم
القرآن الكريم في تلك الليلة هناك ويمد لهم السباط بالاطعمة الفاخرة
وتوقد عليهم الشموع الى الصبح فاذا أصبح الصبح واذن الله تعالى
بوفاء النيل في تلك الليلة طلعت رقعة ابن ابي الرداد الى الخليفة
ويحضر اليه بالقصر فيركب الخليفة في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة
والموكب العظيم الا انه لا يلبس التاج الذي فيه اليتيمة ولا يجعل المظلة على
رأسه في ذلك اليوم ويركب الوزير وراءه في الجمع العظيم على ترتيب الموكب
ويخرج من القصر شاقا القاهرة الى باب زويلة فيخرج منه ويسلك
الشارع الى ان يجاوز البستان المعروف بعباس عند راس الصليبية بالقرب

من الخاتمة الشيخونية الآن فيعطف سالكا على الجامع الطولوني والجسر
الاعظم حتى يأتي مصر ويدخل من الصناعة (اى دار صناعة السفن)
وعى يومئذ في غاية العماره وبها دهليز ممتد بمصاطب مفروشة بالحصر
البدانى موزر بها . ويخرج من بابها شاقا مصر حتى يأتى المنظره المعروفة
برواق الملك على القرب من باب القنطرة فيدخلها من الباب المواجه
له والوزير معه ماشيا الى المكان المعد له ويكون العشارى الخاص
المعبر عنه الآن بالحراقة واقفا هناك بشاطىء النيل وقد حمل اليه من
القصر بيت مشمن من العاج والأبنوس كل جانب منه ثلاثة اذرع
وطوله قامه رجل تام فيركب في العشارى المذكور وعليه قبة من
خشب محكم الصنعة وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة ثم يخرج
الخليفة من دار الملك المذكورة ومعه من الاستاذين المحنكين من
يختاره من ثلاثة الى اربعة ثم يطلع خواص الخليفة الى العشارى والوزير
ومعه من خواصه اثنان او ثلاثة لا غير فيجلس الوزير في رواق بظاهر
البيت المذكور بعرايس من خشب مدهونة مذهبة بستور مسدلة
عليه ويسير العشارى من باب المنظره الى باب المقياس العالى على
الدرج ويطلع الخليفة من العشارى فيدخل الى الفسقية التي فيها المقياس
والوزير والاستاذون المحنكون بين يديه فيصلى هو والوزير كل منهما
ركعتين بمفرده ثم يوتى بالزعفران والمسك في اناء فيتناوله
صاحب بيت المال ويتناوله لابن ابي الرداد فيلقى نفسه
في الفسقية بثيابه فيتعلق بالعمود برجليه ويده اليسرى ويخلفه يده

اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرأون القرآن ثم يخرج على فوره راكباً في العشارى المذكور ثم يعود الى دار الملك ويركب منها عائداً الى القاهرة وتارة ينحدر في العشارى الى المقس (١) ويتبعه الموكب فيسير من هناك الى القاهرة ويكون في البحر ذلك اليوم نحو الف مركب مشحونة بالناس لتفرجوا واطهار الفرح . فاذا كان اليوم الثاني من التخليق أتى ابن الرداد الى الايوان الكبير الذي فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيلسان مقور ويرفع اليه خمسة اكياس في كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له فيلبس الخلعة ويخرج من باب العيد وقد هيا له خمس بغال على ظهورها الاحمال المزينة بالخلى على ظهر كل منها راكب ويده احد الاكياس الخمسة المتقدمة الذكر ظاهرة في يده واقاربه وبنو عمه يحجبونه واصدقاؤه حوله وامامه جملان من النقارات السلطانية والابواق تضرب امامه والطبل وراءه مثل الامراء فيشق بين القصرين وكما يمر على باب من ابواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج نزل قبله ويخرج من باب زويله في الشارع الاعظم حتى يأتى مصر فيشق وسطها ويمر بالجامع العتيق ويجاوزه الى شاطيء النيل فيعدى الى المقياس بخلعته وما معه من الاكياس فيأخذ من الاكياس قدرا مقررا له ويفرق باقي ذلك على ارباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم »

(١) المقس اسم جهة موقعها موقع جامع اولاد عنان اليوم لان النيل كان ينتهى الى هذه الجهة ولم تكن بولاق وقتها موجودة فانها انما حدثت في اوائل القرن الثامن الهجري

وقال بمناسبة ركوب الخليفة لفتح الخليج وهو في اليوم
الثالث أو الرابع من يوم التخليق

«وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين يأخذ النيل
في الزيادة ويعمل في بيت المال موائد من التماثيل المختلفة من الغرلان
والسباع والفيلة والزراريف عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها
ما هو ملبس بالصندل مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب وكذلك يعمل
اشكال التفاح والاترج وغير ذلك وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة
بالقاتول (١) فت نصب للخليفة في بر الخليج الغربي على حافته عند منظره
يقال لها السكرة على القرب من فم الخليج ويلف عمود الخيمة بديباج
احمر أو ابيض أو اصفر من اعلاه الى اسفله وينصب فيها سرير الملك

(١) كان الصيوان المعروف بالقاتول من عمل الافضل شاهنشاه
ويقال انه كان مركباً من اربعة دهاليز واربع قاعات عدا القاعة
الكبيرة ومساحته الف الف ذراع واربعمائة ذراع خارجاً عن سرادقه
وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعاً ولما كمل عمله في
ايام الافضل ونصب تأذى منه الناس ومات رجلان فسمى بالقاتول
لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتصب له اساقيل
عدة باخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه واقام هذا الثوب
في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناعات عليه وما يضرب منه سوى
القاعة الكبيرة واربعة الدهاليز وبعض السرائق الذي هو سور عليه
لضيق المكان الذي يضرب فيه

مستندا اليه ويغشي بقرقوبي (قماش كتان ابيض) وعرانبه ذهب ظاهرة
 ويوضع عليه مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة ويضرب لارباب الرتب من
 الامراء بحرى هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم في المقدار والقرب
 من خيمة الخليفة ثم يركب الخليفة على عادته في المواكب العظيمة بالمظلة
 وتوابعها من السيف والرمح والالوية والدواة وسائر الآلات ويزاد فيه
 أربعون بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة يكون المنفرون بهار كبانا
 والمنفرون بالابواق النحاس مشاة ومن الطبول العظام عشرة طبول
 فاذا كان يوم الركوب حضر الوزير من دار الوزارة راكباً في هيئة
 عظيمة ويركب حينئذ الى باب القصر الذي يخرج منه الخليفة ويخرج
 الخليفة من باب القصر راكباً والاستاذون المحنكون مشاة حوله وعليه
 ثوب يسمى البدنة حرير مرقوم بذهب لا يلبسه غير ذلك اليوم والمظلة
 بنسبته فيركب الاستاذون المحنكون ويسير الموكب على الترتيب حتى
 يأتي الى الجامع الطولوني ويكون قاضي القضاة واعيان الشهود جلوساً
 يبابه من هذه الجهة فيقف لهم الخليفة وقفة لطيفة ويسلم على القاضي
 فيتقدم ويقبل رجله التي من جانبه ويأتي الشهود امام وجه
 فرس الخليفة ويقفون بمقدار اربعة اذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ثم
 يركبون ويسير الموكب حتى يأتي ساحل الخليج فيسير حتى يقارب
 الخليفة الخيمة فيتقدمه الوزير على العادة فيترجل الخليفة على باب
 الخيمة ويجلس على المرتبة الموضوعه له فوق السرير ويحيط به الاستاذون
 المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير كرسيه الجاري به العادة

فيجلس ورجلاه يطان الارض ويقف ارباب الرتب صفين من سرير
 الملك الى باب الخيمة وقراء الحاضرة يقرأون القرآن ساعة زمانية فاذا فرغوا
 من القراءة استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة فيؤذن لهم
 فيتقدمون واحدا بعد واحد علي مقدار منازلهم المقررة لهم وينشد كل
 منهم ما وقع له نظمه بما يناسب الحال فاذا فرغ أي غيره وأنشدهما نظمه
 الى ان يفرغ انشادهم والحاضرون ينتقدون علي كل شاعر ما يقوله
 ويحسنون منه ما حسن ويروهون منه ما وهي فاذا انقضى هذا المجلس قام
 الخليفة عن السرير فركب الى المنطرة المعروفة بالسكره بقرب الخيمة والوزير
 بين يديه وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس الخليفة بمكان معد
 له منها ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده ويجلس القاضي والشهود في
 الخيمة البيضاء الديبق فيطل منها استاذ من الاستاذين المحنكين فيشير
 بفتح السد فيفتح بالمعاول وتضرب الطبول والابواق من البرين وفي
 اثناء ذلك يصل السماط من القصر صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة
 شدة من الطيافير الواسعة في القواوير الحرير وفوقها الطراحات النفيسة
 وريح المسك ينفوح منها فيوضع في خيمة وسبعة معدة لذلك ويحمل
 منها للوزير واولاده ماجرت به عاداتهم ثم لقاضي القضاة والشهود ثم
 الى الامراء علي قدر مراتبهم . وعلى أنواع الموائد من التماثيل المقدمة
 الذكرا خلا القاضي والشهود فانه لا يكون في موائدهم تماثيل فاذا
 اعتد ذلك في الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها
 العشاريات الكبار وهي سبعة : الذهبي المختص بالخليفة والفضي والاحمر

والاصفر والاخضر واللازوردى والصقلى وهو عشارى انشاء نجار من
صقاية على الانشاء المعتاد فنسب اليه وعامها الستور الدبقي الملون وفي
اعناقها الالهة وقلائد العنبر والخرز الازرق ويسير حتى يرسو على بر
المنظرة التي فيها الخليفة فاذا صلى الخليفة العصر ركب لابسها الثياب
التي كانت عليه في اول النهار ومظلة مناسبة لثيابه التي لبسها وباقي
الموكب على حاله ويسير في البر العرني من الخليج شاقا للبساتين حتى
يصل الى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير الى القصر والوزير
تابعه على الرسم المعتاد فيدخل الخليفة قصره ويمر الوزير الى داره على
عادته في مثل ذلك اليوم»

وهذه نسخ بعض السجلات التي وعدنا بايرادها :

« ان اولى ما نضاعف به الالبتهاج والجدل . وانفتح فيه
الرجاء واتسع الامل . ما عم نفعه صامت الحيوان وناطقه ، واحداث
لكل احدا غتباطا لزمه وآلى ان لا يفارقه ، وذلك ما من الله به
من وفاء النيل المبارك الذي تحيى به كل ارض موات ، وتكتسى
بعد اقشع ارها حلة النبات ، ويكون سببا لتوفر الاقوات ، فانه
وفي المقدار الذي يحتاج اليه . فلتدع هذه المنة في القاصى والدانى
لتستعمل الكفاية بينهم ضروب البشار والتهانى ، ان شاء الله
تعالى »

وكتب ايضاً

من لطف الله الواجب حمده ، اللازم شكره وفضله ،
الذي لا يمل بشره ، ولا يسأم ذكره ، والذي استبشر به
الانام ، وتضاعف فيه الانعام ، ومثل الله الحياة به في قوله تعالى
« انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض مما ياكل الناس والانعام امر النيل المبارك الذي يعم
النجود والتهائم ، وتتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم » وقد
توجه اليك بهذه البشرية فلان فاجره على رسمه في اظهاره
مجملاً ، وايصاله الى رسمه مكملًا ، واذا عا هذه النعمة على
الكافة ليتساهموا الاغتباط بها ، ويبالغوا في الشكر لله
سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها . فاعلم ذلك واعمل به ان
شاء الله تعالى «

وكتب ايضاً :

« ان أولى ما تحدث به ناقله وراويه . وتعجل المسرة به حاضره
ورائيه . ما كانت الفائدة به شائعة لا تحيز . والنعمة ذائعة
لا يتخصص أحد بشمولها ولا يتميز . اذ كان علمه بتكثير
الاقوات . وبها يكون التماثل في البقاء والتساوي في الحياة . وذلك

مامن الله تعالى به من وفاء النيل المبارك فانه انتهى في يوم
 كذا من سنة كذا الى ست عشرة ذراعاً وزاد أصبغاً من سبع
 عشرة ذراعاً وقد سيرنا أيها الأمير هذه البشري مع فلان
 اليك . وخصصناه بالورود بها عليك . فتلقها من الشكر بموجبها .
 واستقبل من الابتهاج والاعتباط ما يليق بها . واجعل الرسوم
 التي جرت العادة بتوظيفها لفلان بن الرداد محمولة من جبهتك
 الى حضرتنا . لتولى اليه من جهتنا . فاعلم هذا واعمل به ان شاء
 الله تعالى . وكتب في اليوم المذكور «

وكتب في ذلك ايضاً :

«أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى . وغدت
 المسار منتشرة تتوالى وتترى . وكان من اللطائف التي غمرت
 بالمنة العظمى . والنعمة الجسيمة الكبرى . ما استدعى الشكر
 لموجد العالم وخالقه . وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان
 وناطقه . وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى
 وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد
 وعمارتها . وشمول المصالح وغزارتها . وتقضى بتضاعف المنافع

والخيرات . وتكاثر الارزاق والاقوات . ويتساقم الفائدة فيها
 جميع العباد . وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر
 وباد . فأذع هذه النعمة قبلك . وانشرها في كل من يتدبر عمالك .
 وحهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك .
 فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

°°

وقد عثرت للمترجم علي نسخة كتاب بعث به عن لسان
 الخليفة الحافظ لدين الله بمناسبة عيد النصر
 وعيد النصر هذا من الاعياد التي اتخذها متأخرو الفواطم في
 القرن السادس تذكارا لخلاص الخليفة الحافظ من السجن وذلك
 ان ابا علي الملقب كتيقات بن الافضل لما استبد بالوزارة في اليوم
 السادس عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٤ وقبض على الحافظ وسجنه
 فاستمر في السجن الى ان قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ٥٢٦
 فاخرج من معتقله فأخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار
 يعمل كل سنة . قال المقرئزي وكان الحافظ لدين الله لما سلم من يد
 ابي علي بن الافضل لما وزر له وخرج عليه عمل عيدا في ذلك اليوم
 وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان
 باق على فرشه وتعليقه من يوم عيد الغدير (كان يعمل عيد الغدير في
 ١٨ الحجية) فيفرش أحد مجالس الايوان احسن فرش وينصب للخليفة

مرتبة هائلة ثم يجتمع أرباب الدولة سيفاً وقلماً ويحضرون الى الايوان
فيخرج الخليفة راكباً الى المجلس فيترجل على بابه وبين يديه الخواص
فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس وحواليه
الامراء والاعيان وأرباب الرتب فيصعد قاضي القضاة على منبر نصب
له ويخرج من كفه كراسة تتضمن فصولاً كالفرج بعد الشدة بنظم مليح
يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج
الله عنه واحداً فواحداً حتى يصل الى المحافظ وتكون هذه الكراسة
محمولة اليه من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر
ودخل على الخليفة ولا يكون عنده من الثياب اجل مما لبسه ويكون
قد حمل الى القاضي قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة ويوصل
اليه بعد الخطابة خمسون ديناراً

وقال في موضع آخر : عيد النصر وهو السادس عشر من المحرم عمله
الحافظ يفعل فيه ما يفعل من الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة
والتوسعة في النفقة. وكتب فيه بالقاسم على بن الصيرفي الى بعض الخطباء :
« عيد النصر وهو افضل الاعياد واسناها واعلاها . وادلها
على تفصيل الواصف اذا بلغ وتناهى . ونحن نأمرك ان تبرز في
يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين
وخمسة علي الهيئة التي جرت العادة بمثلها في الاعياد وتقرأ
على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح

هذا اليوم وتفصيله . وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله .
وتعتمد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد . وتنتهي فيه الى
الغاية التي ليس اعلاها مزيد . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى .
وقال المقرئ في الفصل الذي عقده لخزان الكسوات
عند الكلام على تفرقة الكساوي المختلفة على ارباب الدولة
بمناسبة الاعياد :

وكان يكتب في كل كسوة هي برسم وجوه الدولة رقعة من
ديوان الانشا . فما كتب به من انشاء بن الصيرفي مقترناً بكسوة عيد
الفطر من سنة ٥٣٥

ولم يزل امير المؤمنين منعماً بالرغائب . مولياً احسانه
كل حاضر من اوليائه وغائب . مجزلاً حظهم من منائحه
ومواهبه . موصلاً اليهم من الجباء ما يقصر شكرهم عن
حقه وواجبه . وانك ايها الامير لاؤلاهم من ذلك بجسيمه .
واحرامم باستنشاق نسيمه . واخلقهم بالجزء الاوفى منه
عند فضه وتقسيمه . اذ كنت في سماء المسابقة بدرا . وفي جرائد
المناصحة صدرا . وممن اخلص في الطاعة سرا وجهرا . وحظي في
خدمة امير المؤمنين بما عطر له وصفاً وسير له ذكرا . ولما

اقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه ان يحسن الناس هياتهم
ويأخذوا عند كل مسجد زيتهم . ومن وظائف كرم أمير
المؤمنين تشریف اوليائه وخدمه فيه . وفي المواسم التي تجاربه .
بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال . ولا يبقى
بعدها طمع للآمال وكنت اخص الامراء المقدمين ونحو
ذلك ... »

وحيث قد انتهينا من مكاتبات ابن الصيرفي نذكر
طرفا من عوائد القواطم زيادة في التعريف بهم :

قال القلقشندي نقلا عن ابن الطوير الذي كان معاصرا
لهم تحت عنوان هيئة الخليفة في قصوره : « وكانت له ثياب
يلبسها في الدور اكلهما على النصف من اكلام ثيابه التي يلبسها
في المواكب . وكان من شأنه أن لا ينصرف من مكان الى مكان
في القصر في ليل او نهار الا وهو راكب . ولا يقتصر في
القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والحمير الاناث لما
تدعوه الضرورة اليه من الجولان في السرايب (١) القصيرة

(١) لم يكن من عادة خلفاء القواطم الخروج من قصورهم في
غير ايام المواسم التي مر ذكرها . ولذلك نرى ابن الصيرفي يغالي في

والطلوع على الزلاقات الى اعلى المناظر والمسكن . وله في الليل
 نسوة برسم شدم يحتاج اليه ر كربه من البغال والحمير . وفي كل محلة
 من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق
 في الليل . ويبيت خارج القصر في كل ليلة خمسون فارساً للحراسة
 فاذا اذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة الذهب وصلي الامام
 الراتب فيها بالمقيمين من الاستاذين وغيرهم وقف علي باب القصر
 أمير يقال له «سنان الدولة» مقام أمير جاندار الآن فاذا علم بفراغ
 الصلاة أمر بضرب النوبة من الطبول والبوقات وتوابعها على

البركات التي تنزل على الرعية برؤيتهم وكان الخلفاء متى أحبوا الخروج
 من قصورهم لتنزهه اما في البساتين المجاورة القاهرة او لتفرج على
 الخليج مدة زيادة النيل او الذهاب للجامع الازهر في ليالى الوقود
 يساكون اليها في سراديب مبنية تحت الارض راكبين حميراً قصيرة
 يشدها لهم النساء

وقد عثر منذ سنتين بعض سكان حارة بين السيارج بينما كان يحفر
 بئراً في منزله على سرداب من هذه السراديب ولما دعيت لمشاهدته
 ونزلت فيه وجدته قبواً منخفضاً عن ارض الحارة بنحو عشرة
 امتار يتجه من الشرق الى الغرب وسلكت فيه قليلاً فعرفت انه
 السرداب الذي كان يؤدي بالسالك الى منظره اللؤلؤة التي كانت على
 حافة الخليج في هذه الجهة

طرق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج استاذ برسم هذه الخدمة
 فيقول أمير المؤمنين يرد علي سنان الدولة السلام فيغرس سنان
 الدولة حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب
 ودار حول القصر سبع دورات . فاذا انتهى ذلك جعل على الباب
 البوابين والفرامين وأوى المؤذنون الى خزائن لهم هناك وترى
 السلسلة عند المضيق آخريين التمصرين عند السيوفين (قبلى الصاغة
 الحالية) فينقطع المار من ذلك المكان الى ان تضرب النوبة
 سحراً قريب الفجر فترفع السلسلة ويجوز الناس من هناك
 قال واما سيرهم في رعيتهم واستمالة قلوب مخالفيهم فكانوا
 يقبلون على من يمد عليهم من أهل الاقاليم جل اودق ويقابلون
 كل أحد بما يليق به من الاكرام ويعوضون ارباب الهدايا باضعافها
 وكانوا يبالغون في احترام أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من
 اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ولا يمنعون من اقامة
 صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك
 بذكر الصحابة رضوان الله عليهم (١) ومذاهب مالك والشافعي

(١) كان الفاطميون في اول دخولهم مصر حملوا المصريين على
 الدخول في مذهبهم . قال المقرزى وصار صوم شهر رمضان والفطر

واحمد ظاهرة الشعائر في مملكتهم بخلاف مذهب ابي حنيفة
ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه
وقد رأيت ان أختم هذه المقدمة التي طالت بالرغم عنى

على حساب لهم فأشار الشهود على الفاضى ان لا يطلب الهلال لان
الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام
الفاضى وغيره مع الفائدة جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر . قال وفي
سنة ٣٩٥ قرىء سجل بأن يؤذن لصلاة الظهر في اول الساعة السابعة
ويؤذن لصلاة العصر في اول الساعة التاسعة . وفي صفر من هذه السنة
كتب على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه
وعلى ابواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر سب السلف ولعنهم ونقش
ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على ابواب الدور والقياسر
واكره الناس على ذلك فتسارعوا الى الدخول في الدعوة وفي ربيع
الآخر من سنة ٣٩٦ أمر الحاكم بمحو ما كتب على المساجد ونحوها
من سب السلف وقرىء سجل على المنابر : (يصوم الصائمون على حسابهم
ويفطرون . ولا يعارض اهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون .
صلاة الخمس الدين فيها جاءهم فيها يصلون . وصلاة الضحى وصلاة
التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون . يخمس في التكبير على
الجنائز الخمسون . ولا يمنع من التربع عليها المربعون . يؤذن : « حى على
خير العمل » المؤذنون . ولا يؤذى من بها الا يوء ذنون . ولا يسب احد السلف .
ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف . والحالف منهم بما حلف . لسلك
مسلم مجتهد في دينه اجتهاده . والى الله ربه معاده . عنده كتابه وعليه حسابه)

بخطبة ألقاها المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر على
جماعة من أمراء العرب الذين جاءوا معه من المغرب أوردها
لغرضين : الأول لأنها تبين مقدار عناية الراعي بالرعية ،
والثاني لاشتمالها على نصائح مفيدة ووصايا صالحة . وهي هذه
نقلا عن المقرئ قال :

« ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة
من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود
وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين
يديه دواة وكتب فقال :

يا أخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد
فقلت « لأم الامراء » - وانها الآن بحيث تسمع كلامي - أترى
أخواننا يظنون انا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب وتقلب
في المثلث والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك
والخمر والقباء كما يفعل ارباب الدنيا ؟ . ثم رأيت ان اتخذ
فاحضركم لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت
عندكم واني لا افضلكم في أحوالكم الا بما لا بد لي منه من
دياركم وبما خصني الله به من امامتكم . واني مشغول بكتب

ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي . واني لا اشتغل
 بشيء من مسلاذ الدنيا الا بما يصون ارواحكم ويعمر بلادكم
 ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم . فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم
 مثل ما أفعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فيزع الله النعمة عنكم
 وينقلها الى غيركم . وتحذروا على من وراءكم ممن لا يصل الي كتحذني
 عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل . وأقبلوا
 بعدها على نساءكم والزمو الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا
 الى التكثر منهن والرغبة فيهن فينقص عيشكم وتعود المضرة
 عليكم وتنهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم وتضعف نحائزكم .
 فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الي نصرتكم
 بأبدانكم وعقولكم . واعلموا انكم اذ الزتم ما أمركم به رجوت
 ان يقرب الله علينا امر المشرق (١) كما قرب امر المغرب بكم .
 انهضوا رحمكم الله ونصركم «

تحريراً بالقاهرة في مارس سنة ١٩٠٥ على بهجت

(١) يشير بذلك الى بلاد الشام فانه كان مشتغلاً بفتحها يومئذ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الانسان ابتداء منه بالاحسان اليه *
وبصره مرأشده تميماً للنعمة عليه * وعلمه البيان ليهتدي به
الى طريق الصواب * وأرسل اليه الرسل بالاعذار والانذار
لتكون الحجة عليه مكملة الايجاب * وتكفل له بادرار الارزاق
وأناه من المن فوق الاستحقاق ، ووعدده عن الحسنى بعشر
توسعاً فى الفضل * وتوعدده عن السيئة مثلاً بمثل * وصلى الله
على أفضل الانبياء ديناً وملة * وخيرهم شريعة وقبلة * محمد
خاتم النبيين * وسيد المرسلين * الذى ابتعثه الى الناس اجمعين *
وخصه باللسان العربى المبين * ومنحه القرآن الذى دحض
بفصاحته حجج المضلين * وأخضع ببلاغته أروس المشركين
وأظهر له بعجزهم عنه فضلاً كبيراً * وتوحداهم به فقال « قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا

يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» * وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كان له اخا ووزيرا، ومعينا في الشدائد وظهيرا * وحل من الاختصاص بشرف الامامة محلا نفيسا، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله «انت مني بمنزلة هرون من موسى» * وعلى الأئمة من ذريتهما الاطهار، المعصومين من المآثم والاوزار * النافع ولاؤهم يوم تتمنى الجنة ويفرق من النار * الذين لا تخلو الدنيا منهم طرفة عين (١) ولا ينكر فضلهم الا من رغب عن الصدق الي المين * وسلم عليهم أجمعين تسليما، وزادهم الى يوم القيامة تشريفا وتعظيما

(١) كان الفواطم من ذلالة الشيعة على مذهب الاسماعيلية القائلين بامامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصية منه وبأن الامامة موقوفة على اناس معينين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق وبأن الجزء الالهى يحل في الائمة بعد علي بن ابي طالب وانهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب

ولما ملك القاطميون مصر سنة ٣٥٨ جهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعواتهم فيها فاستجاب لهم خلق كثير من اهلها وكانت لهم مجالس خصوصية يختلف اليها في ايام معينة الرجال وفي ايام اخرى النساء لسماع الدعوة وياخذون عليهم العهد بكتهم اسرارهم كما تراه مفصلا بعض التفصيل في غير هذا الموضوع من الكتاب

اما بعد فاني وجدت الله سبحانه قد جعل الخليفة أطواراً
 يفتقر بعضها الى بعض * ويكون تباين مراتبها ومنازلها سبباً
 لعمارة الارض * فجعل الانبياء أعلى الآدميين محلاً وشأناً *
 والأئمة من بعدهم أنفخهم رتبة وارفعهم مكاناً * والملوك
 الاسلاميين بعد ذلك أشرفهم منزلة واعلام سلطاناً، ووزراءهم
 وكتابهم الناهضين باعبائهم، والموازين لهم في رخائهم وولائهم
 أسمحهم ذكراً وارجحهم ميزاناً * ورتبهم بعد ذلك مراتب
 متفاوت فيها اقدارهم * وتباين منازلهم واخطارهم * اتقانا للحكمة
 الالهية * واظهارها لها في ترتيب هذه البرية

ولما رأيت اولى الفطر الصحيحة * والعقول الرجيحة * قد
 سبقوا الى النظر في سائر العلوم ووضعوا فيها المصنفات * ونظموا
 ذكرها في الكتب المؤلفات * ثم اتقلوا عن ذلك الى قوانين
 الأشياء فقررروا في كل منها ما كان اصلاً يعتمد عليه * ونهوا
 عما كان فساداً لنظامها او أدى اليه * وخالفوا بين احكام تلك
 التصنيفات * لاختلاف الازمنة وتباين البلاد والاقوات *
 فوجدتهم قد صنفوا في كتابة الخراج كتباً كثيرة * وعنوا
 بكتابة الجيش عناية كبيرة * فألف كل من العراقيين والمصريين

حتى ذلك ما وصلت اليه طاقته * واقتضاه ما اوجبه وقته * والبلد
 الذي يحتله . فاما صناعة الشعر وذكرك بديعه وسائر انواعه وتقاسيمه
 فقد اكثر كل منهم فيه المقال * وتوسع في تصنيفه واطال *
 ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة الجميلة قدراً * النبيلة ذكراً *
 الرفيعة شاناً * العلية مكاناً * التي هي كتابة حضرة الملك المشتملة
 على الانشاء الى ملوك الدول والمسكوبة عنه الى من قل من
 الامم وجل ، وكيف يجب ان يكون متواليها وما يخصه من
 الاخلاق والادوات وما يجب ان يكون فيه من الفضائل *
 وان يجتنبه من القبائح والرزائل * وكيف ينبغي ان تكون
 امور تباعه ومعينيه * واي الحالات ينبغي ان يكون عليها
 ديوان الرسائل الذي يتولاه وينظر فيه * فلم يذكروا من ذلك
 دقيقاً ولا جليلاً * ولا شرحوا منه كثيراً ولا قليلاً * ومن
 الممنه بصناعة الكتابة فانما تكلم على قوانين بعض امورها
 ولم يلم بشيء مما ذكرته واكثرهم حشا كتبه الموضوعه لذلك
 باللغة والنحو والتصريف فخرجت عن الغرض المقصود لان
 لكل نوع من هذه الانواع كتباً مفردة تستغرق ما يؤتى به
 في هذه المؤلفات وتشمتمل على اضعافه فالتاسها من هنالك اولى *

وظلها من معدنها اجدر وأحرى

ولما وجدت المتقدمين قد تركوا ذلك واهملوه * واضاعوه
على ممر السنين واغفلوه * علمت ان الله تعالى قد ذخّر
فضيلة تصنيفه واظهاره * ومنقبة بروزه الى الوجود واشتهاره *
لهذه الايام الزاهرة العادلة المضيئة السيدية الاجاية الافضية (١)
التي رفعت الجور عن الامم * وملكت فضيلتي السيف والقلم *
واستولت على غايات المفاخر * واستبدت بغير المناقب

(١) قدم المؤلف هذه الرسالة الى الوزير ابى القاسم المنعوت
بالافضل شاهنشاه بن امير الجيوش . وهالك ملخص ترجمة حياته كما وردت
في كتاب شذرات الذهب

وفى اي سنة ٥١٥ مات الافضل أمير الجيوش شاهنشاه ابوالقاسم
ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى كان في الحقيقة هو صاحب الديار
المصرية ولى بعد ابيه وامتدت ايامه وكان شهياً مهيباً بعيد الغور فخل
الرأى ولى وزارة السيف والقلم للمستعلى ثم للآمر وكان معه صورة
بلا معنى وكان قد اذن للناس في اظهار عقائدهم وامات شعار دعوة
الباطنية فمقتوه لذلك وكان مولده بعكا سنة ٤٥٨ وخلف من الاموال
ما يستحي من ذكره . وثب عليه ثلاثة من الباطنية فضربوه بالسكاكين
فقتلوه وحمل بآخر رمق . وقيل ان الامر دسهم عليه بتدبير ابى عبد الله
البطائحي الذي وزر بعده ولقب بالمأمون اه

والمآثره ووجب ان تنتج فيها الافكار العقيمة * وتظهر لها
اسرار الفضل المكتومة * فاستخرت الله تعالى وتوكلت عليه *
وعولت على تصنيف هذا الكتاب وايداعه ما تصل القدرة
اليه * من انواع الترتيبات وفنون الفضاءل * وسميته : « قانون
الرسائل » وجعلته ابوابا وفصولا ويثبت الامر فيه على ما يقتضيه
حكم البلاد المصرية والامر المتعارف فيها الآن دون غيره
من الاوقات والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل

(فصل في الغرض المقصود بهذا الكتاب)

الغرض بهذا الكتاب ان يكون قانونا يعرف به من يجب
ان يولى رئاسة ديوان الرسائل وتقدمته ومن يجب ان يكون
تلوه في المنزلة من المستخدمين فيه من الكتاب واحدا واحدا
من الخدام الذين لا غنى عنهم * والصفات التي ينبغي ان يكون
عليها كل واحد منهم * والطرق التي اذا سلكت في هذا
الديوان ادت الى ضبط اموره وامن معها من اختلال شيء
منها وفساد يدخل عليها وسهل وجود ما يلتمس من علم امور
تقادم عهدها وبعدها ازمنتها ويجب ان يكون هذا الكتاب

مخلداً في ديوان الرسائل يقتدى به كل من يخدم فيه (١)

(١) قال الفلقشندی : قد كان ديوان الانشاء في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له باشهر الانواع التي تصدر عنه لان الرسائل اكثر انواع كتابة الانشاء واعمها وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم واشتهر به واستمر عليه الى الآن وقال ايضاً ان هذا الديوان اول ديوان وضع في الاسلام وذلك ان النبي صلعم كان يكتب امرائه واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكتبونه وكتب الى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام وبعث اليهم رسله فبعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وعبدالله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ودحية الكلبي الى هرقل ملك الروم وحاطب بن ابى بلتعنة الى المقوقس صاحب مصر

وقال المقرئى تحت عنوان ديوان الانشاء والمكاتبات: وكان لا يتولاه الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف وتسلم اليه المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة وهو الذي يأمر بتزيلها والاجابة عنها والخليفة يستشير في اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المتول بين يديه وهذا امر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وخمسين ديناراً في الشهر وهو اول ارباب الاقطاعات وارباب الكسوة والرسوم ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه بالفصر ولا يجتمع بكتابه احد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفرادشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواقي من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة .

ويستضيء بهدايته ويحتذى امثله وان يؤخذ المستخدمون في
الديوان بفهمه ويحفظه

(فصل في المنفعة بهذا الكتاب)

المنفعة بهذا الكتاب عظيمة القدر جليلة الخطر واكثر
الناس حظا فيها. واجز لهم نصيباً منها الملك لانه اذا تتبع ما فيه
واستخدم لكتابة حضرته من يشهد هذا الكتاب باستصلاحه
لها وكان جامعاً للخلال التي شرط وجوب كونها فيه امن
بذلك من اختلال امور كثيرة من دولته. واضطراب اسباب
جمة من مملكته * ودخول العيب والنقيصة على من يختاره
لخدمته * ثم يتنفع بهذا الكتاب اذا جعل بحيث استقر مخزونا
بديوان الرسائل للقراءة فيه وتدبره كل من تصفحه ويعمل
بمقتضاه على مرور السنين وكرور الاحقاب والاعوام فيكون
كالعلم لهم والمهذب لاخلاقهم والهادي لهم الى سنن الصواب
الذي قد درست معالمه وتنوسيت احكامه ويوشك ان لم
يضبط في هذا الكتاب ويقتنى من معارفه (كذا) ان يجهل
دفعة واحدة وتطمس آثاره جملة

(فصل في الاحوال التي يجب ان يكون عليها رئيس هذا الديوان
وما ينبغي ان يكون حاصله من العلوم والمعارف والاخلاق وما يرجي
من الانتفاع بالمصالح ويخشى من ضرر ضده)

اول ما يجب ان يكون رئيس ديوان الرسائل ومتولى
الكتابة عن حضرة الملك ذادين وورع وامانة فانه بمنزلة كبيرة
ورتبة خطيرة يتحكم بها في ارواح الناس واموالهم لانه لو زاد
اذنى كلمة او حذف ايسر حرف او كتتم شيئا قد علمه او تأول
لفظا بغير معناه او حرفه عن جهته ادى ذلك الى ضرر من
لا يستوجب الضرر وتقع من لا يستوجب النفع بل ربما ضرر من
يجب نفعه ونفع من يجب الاضرار به وموه على الملك حتى
يشكر المذموم ويذم المشكور فتمى لم يكن له دين يحجزه عن
ارتكاب المآثم . وورع يزعه عن احتقاب المحارم . وامانة لا تمتد
يدها الى رشوى تحسن له الدخول في المسالك المذمومة .
ونزاهة نفس تصدقه عن الشهوات الموردة له الى الموارد المكرهة .
وقعت الدولة منه في ورطة شنعاء . وداهية دهباء . وكان الضرر
بمكانه اكثر من الانتفاع ولم يكن الا وبالاعلى الملك لانه
يحسن له غير الحسن ويقبح له غير القبيح ويزكى من لا خير فيه

ذادين
ورع
امانة

ويذم من لا تدم مساعيه . ويضع الاشياء في غير مواضعها
 فيهد بقلمه مالا تبنيه السيوف والرماح في السنين المتطاولة *
 ويجب ان يكون دينه الاسلام لانه من الملك بمنزلة الوزير
 والوزير مشتق من الموازرة والموازرة هي المساعدة والمعاونة
 والمظاهرة ولا يجب ان يتخذ لهذا الامر من يخرج عن دين
 الاسلام لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم
 ان الله لا يهدي القوم الظالمين » فاول ما يتجنب الملك من نهى
 الله جل جلاله وتقدست اسماؤه عن اتخاذه ولياً بل الواجب
 على الاطلاق وخاصة بحكم الوقت الحاضر ان لا يطلع على أسراره
 من يخالف شريعة الاسلام لقرب دار العدو خذله الله وأباده (١)
 وان من الفطرة التي جبل كل أحد عليها حنين كل شخص
 من الناس الى من يرى رأيه ويدين بدينه وهذا امر يجده
 كل أحد في نفسه ومع ذلك فان كاتب الرسائل احوج الناس
 الى الاستشهاد بكلام الله تعالى في اثناء محاوراته وفصول

(١) يشير الى كثرة اغارات الفرنج على سواحل بلاد الشام وتملكهم
 أكثر مدنها وانقطاع دعوة الفاطميين منها في اواخر القرن الخامس الهجري

مكاتبته والتمثل بنواهييه واوامره . والذكر لقوارعه ووزواجره .
وهو حلية الرسائل وزينة الانشآت والذي يشدقوى الكلام .
ويثبت صحته في الافهام . فمضى خلت منه كانت عاطفة من
المحاسن عارية من الفضائل لانه الحجة التي لا تدحض . والحقيقة
التي لا ترفض . فاذا كان الكاتب من الذمة لم يكن لديه من ذلك
شيء وأنت كتبه مغسولة من أفضل الكلام . وخالية مما يتبرك
به أهل الايمان والاسلام . ومقصرة عن رتبة الكمال ومنسوبة
الى العجز والاختلال . فان تعاطى الكاتب الذمي حفظ شيء منه
وكتبه فقد أبيضت حرمة كتاب الله تعالى وانتهكت وامكن
منه من يتخذه هزوا ولعبا والله سبحانه يقول « في كتاب مكنون
لا يمسها الا المطهرون » فقد وضع انه لا يجوز ان يرقى الى هذه
الرتبة الا مسلم ومع ذلك فيجب ان يكون متمذهاً بالمذهب
الذي عليه الملك ليكون اتقى جيباً وانصح غيباً فان المسلمين
وان جمعهم كلمة الاسلام فقد اختلف كل واحد منهم بمذهب
يبين به بعضهم بعضاً حتى حدث بذلك بينهم من التباعد
والتنافر قريب مما بين المسلمين والمشركين (١) فكما وجب ان

(١) يقصد باختلاف المذاهب أهل السنة والشيعة

يكون المؤهل لهذه المرتبة مسلماً كذلك يجب ان يكون على مذهب الملك الذي اختص به من بين مذاهب المسلمين ليكون مجتهداً في خدمته مبالغاً في نصيحته يحضه الرأي عن صفونية لا يخالطه كدر و خلوص محبة لا يشوبه مدق ويكون الملك قد أحسن انفسه الاختيار وأجاد لدولته النظر وأراح نفسه من كافة التحفظ منه والحذر له (١) * ويجب ان يكون من يختار

(١) نقل المقرئ عن بعض مؤرخي القواطم أنه كان من بين رجال دولتهم من يسمونه بداعي الدعاة من شروطه ان يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت ووظيفته أخذ العهد على من ينتقل الى مذهبهم وكان له من التقباه اثني عشر نقيباً وفي سائر البلاد نواب عدة وكانت دعوتهم مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة وعددها تسع دعوات يستدرج فيها الداعي المدعو شيئاً فشيئاً حتى ينتقل الى مذهبهم وهذه هي صفة العهد الذي يوءخذ على المدعو وهو ان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه ودمه رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما سمعته وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته وامور اخوانه واصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصهم له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر منه شيئاً قليلاً ولا كثيراً ولا شيئاً يدل عليه الا ما اطلقت

لهذه المرتبة يمكننا من عقله فان العقل أس الفضائل وأصل المناقب
ومن لا عقل له فلا انتفاع به . وكيف لا يكون كذلك وهو
المستشار في كبار الامور . والمشارك في النظر في سداد

لك ان تتكلم به وأطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في
ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه . جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل
نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك واداء الأمانة
على الا تظهر شيئاً أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا . ولا بعد وفاتنا .
لا في غضب . ولا في حال رضا . ولا على رغبة . ولا في حال رهبة . ولا عند شدة
ولا في حال رخاء . ولا على طمع . ولا على حرمان . تلقى الله على السر
لذلك والصيانة له على الشرائط الميمنة في هذا العهد . وجعلت على نفسك
عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان تمنعني
ومن اسميه لك واثبته عندك مما تمنع منه نفسك . وتصح لنا ولوليك
ولي الله نصحاً ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليه ولا احد من اخواتنا
وأولياتنا ومن تعلم انه منا بسبب في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد
ولا عقد تتوالى عليه بما يبطله فان فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم انك
قد خالفته وأنت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السموات
والارض الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك
ودنياك واخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين
الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثاني والقرآن
العظيم . وتبرأ من التوراة والانجيل والزيبور والذكر الحكيم ومن كل
دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه

الشغور . وانما كلام المرء ورأيه علي قدر عقله فاذا كان تام العقل
كامل الرأي ووضع الاشياء في مكاتبه ومخاطباته مواضعها وأتى

وأنت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا يئناً
يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التي ليس لله
فيها رحمة . وأنت بريء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك
وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم بها عليه الجنة وخلده في
النار ان خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان .
ولله عليك ان تحجج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واحباً ماشياً حافياً
لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك . وكل ما ملك في الوقت الذي تخالف
فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك
الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة . وكل مملوك لك من ذكر أو
انثى في ملكك أو تستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك
فهم أحرار لوجه الله عز وجل . وكل امرأة لك أو تزوجها الى وقت
وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق ثلاثاً بقة طلاق الحرج
لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة . وكل ما كان لك من أهل
ومال وغيرهما فهو عليك حرام . وكل ظهار فهو لازم لك . وأنا المستحلف
لك لا مامك وحجتك وانت الخائف لهما . وان نويت أو عقدت أو اضمرت
خلاف ما أحملك عليه وأكلفك به فهذه اليمين من أولها الى آخرها
مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت
بيني وبينك قل نعم فيقول نعم . ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها
خشية الاطالة وفيها ذكرناه كفاية لمن عقل . اهـ

بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن السلطان بما تقتضيه
الحال التي يكون عليها فيشدها ما كانت الشدة نافعة ويلين حين
يكون الى اللين محتاجا، ويوبخ من لا يقتضى فعله أكثر من
التوبيخ، ويذم من تعدى الى ما يستوجب الذم، ويأتي باصناف
المكاتب التي يقتضيه اختلاف الحالات واقعة مواقعها، صائبة
مراعيها * ويجب ان يكون من البلاغة والفصاحة الى
أعلى رتبة وأسمى منزلة وبحيث لا يوجد أحد في عصره يفوقه
في هذا الفن فانه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي بها
يكتب ورب كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى صاحبه
عن الكتائب، وأعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب .
فاذا كان جيد الفطرة صائب الرأي، حسن الالفاظ تتأني له
المعاني الجزلة . فيجملوها في الالفاظ السهلة (١) . ويختصر بحيث

(١) كتب بشر بن ابى كبار البلوى من كتاب صنعاء يذم انساناً ما بعد فان من
الناس من يحمل حاجته اهون من فحش طلبه ومنهم من حمل عدوانه
اخف من ثقل صداقته ومنهم من افراط لائمه احسن من قدر مدحته
وان الله خلق فلانا ليغم الدنيا ويقدر به اهلها فهو على قدره فيها
من حجج الله على اهلها فاسأل الذي فتن الارض بحياته وغم اهلها ببقائه
ان يدبل بطنها من ظهرها والسلام

يكون الاختصار كافياً ويطيل حين لا يجد من الاطالة بدأ
ويهدد فيملاً القلوب روعة ويشكر فيلقى على النفوس جذلاً
ومسرة . ثم ان كتب الى ملك كبير ، وذى رتبة خطير ،
عظم مملكة صاحبه ونخمها في معاريض كلامه من غير ان
يوجد ان ذلك قصده واستصفي نية المكاتب واستجاب

ومن كتاب لبشر ايضاً

اما بعد فانك تسألني عن عبدالله كأنك هممت به اذ سرك القدم
عليه فلا تفعل يرحمك الله فان الطمع بما عنده لا يخطر على القلب الا
من سوء التوكل على الله عز وجل وان رجاء ما في يده لا يكون الا
بعد اليأس من روح الله لانه يرى الاقتار الذي نهى الله عنه هو الاسراف
الذي يعذب الله عليه وان الصدقة منسوخة وان الضيافة مرفوعة وان
ايتار المرء على نفسه عند الخصاصة احدى الكباثر الموجبة للملكة
وكان لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الاولى الذين قطع الله دابرهم
ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وكان الرجفة لم تصب اهل مدين
عنده الا لسخاء كان فيهم ولم يهلك الريح العقيم عادا الا لتوسع ذكر
عنه وهو يخاف العقاب على الاتفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد
نفسه الفقر ويأمرها بالبخل خيفة ان ينزل به بعض قوارع الظالمين
ويصيبه ما اصاب القوم المجرمين فاقم يرحمك الله على مكانك واصطبر
على عسرتك وتربص به الدوائر عسى الله ان يبدلنا واياك خيراً منه
زكوة واقرب رحماً والسلام اه . وصف جزيرة العرب للهمداني

مودته في اثناء الخطاب وان لم يظهر ان ذلك مطلبه بل
 يريه ان الحظ والنصيب الأوفى اذا تم ذلك معه • وينبغي ان
 يكون مضطهماً بفنون الكتابة عالماً باصولها وفصولها مستقلاً
 باعتبارها يفوق في النهضة جميع المستخدمين معه والمعينين له
 لانه الاصل الذي هم فروعه والمقدم الذي عليه تعرض كتبهم
 وتأليفاتهم • والى تصفحه وتقدمه ترجع انشأتهم وتصنيفاتهم •
 فمن الواجب ان يكون أتم منهم دراية • واضح علماً ورواية •
 واخبر بصائب المعاني ومستحسن الالفاظ لينتقد ما يعملونه
 نقد الخبير وينفذ منه ما تربه مرآة فهمه استحسانه • ويرد منه
 ما توضح عنده المعرفة استقباحه واستهجاناه • ومتى لم يكن
 كذلك وكان في الجماعة الذين معه من هو بهذه المنزلة من
 الخبرة والمعرفة كان أولى بمكانه • ويجب ان يكون حافظاً
 لكتاب الله تعالى أو قيمياً بقراءته اذا قرأه فانه شديد الحاجة
 اليه كما تقدم بيانه ويكون حافظاً لاخبار الرسول والأئمة من
 ذريته صلى الله عليهم أجمعين قيمياً بها أو بأكثرها راوياً لاخبار
 الملوك وأيام العرب ووقائعهم واخبار العجم وسائر الامم وما
 جرى في أيام الملوك الماضين وما حدث من ورائهم وكتابتهم

وقوادهم واخبارهم فانه احوج الناس الى ذلك وربما دفعته
 مضائق الكتابة الى الاستشهاد بشيء منه فتي لم يكن لديه
 ملكة له ومحفوظاً عنده وقف وقوف المحجم . وجلجج جلججة
 المحجم . ويجب ان يكون لديه شيء من معرفة الحلال
 والحرام ليكون واجداً له متى دفع الى ان يسأل عنه . ويجب
 ان يكون حافظاً للشعار راوياً للكثير منها يستشهد بما عساه
 يحسن الاستشهاد به في بعض المواضع فان للمنظوم من البهجة
 في النفس والوقع في القلب ما ليس للمثور وربما حل منه
 ما يحتاج اليه فأتى به منشوراً في اثناء رسائله وطى انشائه فكم
 معنى بديع رائع قد حظى به المنظوم دون المثور . وان كل
 لان يكون محسناً لنظم الشعر مجيداً فيه كان اجمل لصفاته .
 واكمل لأدواته * ويجب ان يكون قد قرأ من العربية
 والتصريف واللغة اكثرها فانه احوج الناس الى هذه العلوم
 فان كان مبرزاً فيها قيماً بها على الكمال فزيادة في فضله . وان
 حصل له منها ان يكون متكلماً بالفاظ الفصحاء لاحقاً برتبة
 البلغاء لا يخفى عنه شيء مما يجري في المكاتبات . ويكثر في
 المحاورات . من غير ان يتبع حوشى الكلام ووحشى الالفاظ

وغريب اللغة ولا يعزب عنه شيء مما يعاينه ويلا بسه ولا يتوجه
 عليه لحن في الخط ولا في الاعراب فقد حصل له ما يكتفى
 به في صناعته * ويجب ان يكون اصيلاً في قومه رفيعاً في حسبه
 غير دنيء الآباء ولا ذميم المكاسب فان كل أحد راجع
 الى خيمه وبان على اصوله * ويجب ان يكون صبيح الوجه ،
 فصيح اللفاظ . طلق اللسان لانه كثيراً ما يراه الملك
 ويحاوره والحظ في هذين الامرين للملك اكثر منه فيهما له *
 ويجب ان يكون وقوراً حليماً مؤثراً للجد على الهزل ، محباً
 للشغل اكثر من محبته للفراغ ، مقسماً للزمان على اشغاله يجعل
 لكل منها جزءاً منه حتى يستوعبه في استيفاء اقسامها . كثير الاناء
 والرفق ، قليل العجلة والخرق ، نزر الضحك ، مهيب المجلس ،
 ساكن الظل ، وقور النادي . حسن اللقاء . لطيف الاجابة (١)

(١) كان السلطان ملكشاه الساجوقى في بعض صيوده في الصين
 وانعم على بازداريته بمال (البازدار هو اندى يحمل الطيور الجوارح المعدة
 للصيد على يده) فأحاطهم نظام الملك الوزير على انطاكية بالشام
 فشكوا الى السلطان فلام نظام الملك على البعد العظيم عنهم فقال له
 يا سلطان العالم انما قصدت هذا حتى يقال انك كنت بالصين ومراسيمك
 نافذة بالشام . اه مسالك ابن فضل الله العمري

شديد الذكاء . متوقد الفهم ، حسن الكلام اذا حدث ، حسن
الاصغاء اذا حدث ، سريع الرضا ، بطيء الغضب ، رؤفا بأهل
الدين ، ساعياً في مصالحهم ، محباً لذوى العلم والادب ،
راغباً في نفعهم يغلب هوى الملك علي هواه . ورضاه علي
رضاه ، ما لم ير في ذلك خلا علي المملكة فانه يجب أن يهدي
النصيحة للملك من غير ان يوجد ان فيما تقدم من رأيه
فساداً أو نقصاً ولكن يتحيل لنقض ذلك وتهجينه في نفسه
وايضاح الواجب فيه باحسن تأن وأفضل تطف . ويكون
من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها احد ولا يقاربه فيها
بشر حتي يقرر في نفسه اماته كل حديث يعلمه وتناسي كل
خبر يسمعه وان لا يطلع والدا ولا ولدا ولا اخا شقيقاً ولا
صديقاً صدوقاً علي ما دق ولا ما جل . ولا يعلمه بما كثر منه
ولا ما قل . ويتوهم بل يتحقق ان في اذاعته مما يعلم وضع منزلته
وحط رتبته ويجتهد في أن يصير له ذلك طبعاً مركباً وامراً
ضرورياً فانه اذا كان بهذه المنزلة انتفع به الملك واذا كان
بضدها استضر هو والملك جميعاً * ويجب ان ينحل الملك
حساب الآراء ولا يتحلها عليه . ومهما حدث من رأى صائب

او فعل جميل او تدبير حميد اشاءه واذا عه وعظمه ونخمه وكرر ذكره ، وأوجب على الناس حمده وشكره ، واذا قال الملك قولاً في مجلسه او بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقاً للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك خطأ كبير بل يصبر الى حين الخلوة ويداخل في أثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلقى برد ولا تبجح بما عنده (١) ويكون متابعاً للملك على اخلاقه الفاضلة وطبائه الشريفة

(١) الا ترى ان النضر بن شميل النحوى كبا بحضرة المأمون كبوة اوشك ان يفقد بسببها منزلته من الخليفة لولا ان تداركه بحسن اعتذاره . وقبل المأمون عذره لطيب عنصره وكريم نجاره . ونحري بذلك ان النضر كان عند المأمون يوماً فقال المأمون حدثنا هشيم عن محالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » وفتح سين سداد فاعاد النضر الحديث وكسر السين من سداد فاستوى المأمون جالساً وقال تلحننى يا نضر فقال انما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قال السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سدوت به شيئاً فهو سداد بكسر السين وانشد

اضاعونى واى فتى اضاعوا . ليوم كريمة وسداد نغر
فأمر له المأمون بخمسين الف درهم

من بسط المعدلة ومد رواق الامن * ونشر جناح الانصاف
 واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وجبر الكسير والانعام على
 المقتر المستحق والتوفر من الصدقات على الاشراف والمؤمنين
 وسائر المساكين من المسلمين وعمارة بيوت الله تعالى ،
 وصرف الهمم الى مصالحها . والنظر في احوال الفقهاء وحملة
 كتاب الله بما يصاحبهم ، والالتفات الى عمارة البلاد ، وجهاد
 الاعداء ونشر الهيبة ، واقامة الحدود في مواضعها ، وتعظيم
 الشريعة والعمل باحكامها فيكون لجميع ذلك مؤكدا ، ولا أفعاله
 فيه موطداً ممهداً . وان أحسن منه بخلة تنافي هذه الخلال ،
 وفعلة تخالف هذه الافعال . نقلها عنه بالطف سمي وأحسن
 تدريج ولم يدع ممكناً في تبين قبجها وايضاح رداءة عاقبتها
 وفضيلة مخالفتها الا بينه واوضحه الى ان يعيده الى الفضائل
 التي هي بالملوك النبلاء أليق فان الكاتب اذا كمل جميع هذه
 الخلال استحق ان يكون كاتباً لحضرة الملك الفاضل
 الكامل الدين الورع وان يتولى ديوان رسائله وان يوازره
 على أمور دولته فان المنفعة به للملك تكون عظيمة لا تحيط
 الاوصاف بمقدارها وكلما أدخل بنوع منها نقصت المنفعة به

بمقدار ذلك الاخلال وتوجه الضرر بمقدار ذلك النقص
فان كان عارياً من اكثرها او من جميعها فينبغي ان يتعوذ
بالله من نظره او سماع خبره فاما مقدار المضرة به فاعظم
من ان يحمد

فصل فيما يختص متولى ديوان الرسائل بالنظر فيه من الاعمال
التي لا يقوم بها غيره

اول ما يجب على متولى هذا الديوان مسالمة مجلس
الملك ما كان جالساً ليتأسي به سائر المستخدمين معه ولا يجردوا
رخصة في الغيبة عن الديوان ثم تأمل الكتب الواردة على
الملك وتسليمها الى اوثق كتابه وآمنهم في نفسه ليخرجها في
ظاهرها (١) ثم يعيدها اليه فيقابل بها فان وجده أدخل بشيء
منها اضافه بخطه وانكر عليه اهماله ليتنبه في المستقبل وان لم
يكن فيها خلل عرضها على الملك واستخرج فيها امره وسطر
تحت كل فصل منها ما يجب ان يكون جواباً عنه على احسن
الوجوه وفضلها ثم سلمها الى من يكتب الجواب عنها ممن

(١) ليأخذها في ظاهر الورقة

يعرف اصطلاحه بذلك ثم قابل الجواب بالتخريج وما وقع به
تحتة فان وجد فيها خلافا سده او مهملًا ذكره او سهواً اصلحه
وان علم انه قد كتبها على افضل الوجوه واسدها وانه لم يغادر
معنى ولم يزد الا الفاظاً ينمق بها كتابته ويؤكد بها قوله
عرضها على الملك ليعلم فيها (١) ثم استدعى من يتولى الالصاق
فألصقها بحضرتة وجعل على كل منها بطاقة يشير فيها الى مضمونه
لئلا يسأل عنه بعد الصاقه فلا يعلم ما هو ثم يسلمها الى من
يتولى تنزيدها الى حيث اهلت له ويأخذ خطه بعديتها
منسوباً كل منها الى من كتب اليه ومشاراً الى مضمونه
ويسلم النسخ المخرجة الملخصة الى من يؤهله لحفظها وترتيبها
علي ما بين في الباب الذي يأتي في هذا الكتاب *
ويلزمه ان يتصفح ما يكتب من السجلات والمناشير

(١) قال الفلقشندي وكان من شأن الخليفة انه لا يكتب في علاماته
الا (الحمد لله رب العالمين) ولا يخاطب أحداً في مكاتبته الا بالكاف
حتى الوزير صاحب السيف وانما المكاتبات عن الوزير هي التي تفاوت
مراتبها ولا يخاطب منهم (عن الخلفاء) أحد الا بعت مخصوص ودعاه
معروف به

والامانات (١) وجميع ما يقع عليه اسم الانشاء تصنف حتماً بماً آمن معه

(١) المنشور ويجمع على مناشير هو كل كتاب خاص باقطاعات
الامراء والجنود بمعنى ان الخليفة أو السلطان اذا اقطع اميراً أو جندياً اقطاعاً
كتب له بذلك كتاباً هو المنشور وعلى العموم المناشير هي الكتب الخاصة
بالاقتاعات وجباية ضرائبها

والامانات كتب كانت تصدر عن حضرة الخليفة أو السلطان
لناس انكر عليهم أمر من الامور فأبعدوا عن الحضرة ثم تشفع فيهم
متشفع أو صدر منهم امر استوجب رضاه الخليفة أو السلطان فيكتب
اليهم الامان

وصورته بعد البسملة كما جاء في كتاب التعريف بالمصطلح الشريف
هذا امان الله وامن نبيه سيدنا محمد نبي الرحمة صلى الله عليه
وسلم وأماننا لفلان بن فلان - ويذكر أشهر أسمائه - على نفسه وأهله وماله
وجميع أصحابه وأتباعه وكل ما يتعلق به من قليل وكثير وجليل وحقير
أماننا لا يبقى معه خوف ولا جزع في أول أمره ولا آخره ولا عاجله
ولا آجله . يخلص ويصان به النفس والاهل والولد والمال وكل ذات
اليد . فليحضر هو وبنوه وأهله وذووه وأقربوه وغلمانه وكل حاشيته
وجميع ما يملكه من دابته وقاصيته وليصل بهم الينا ويفد على حضرتنا في
ذمام الله وكلامه وضماني هذا الامان . له ذمة الله وذمة رسوله صلى الله
عليه وسلم ان لا يناله مكر وهنا ولا من أحد من قبلنا ولا يتعرض اليه
بسوء ولا اذى ولا يرتق (كذا) له مورد بقذى وله منا الاحسان . والصفاء
بالقلب واللسان . والرعاية التي تؤمن سره ونهني شربه ويطمئن بها خاطره
ويرفرق عليه كالسحاب لا يناله ماطره فليحضر وانقأ بالله تعالى وبهذا

ان يدخل على شيء مما يكتب في ديوانه زيغ ولا زلل ولا تحريف
فانه متى عرف المستخدمون معه تيقظه وتطلعه وبخثه عما يكتبونه
احتفل كل واحد منهم بما يتولى كتابته وجمع ذهنه له وفرق
ان يزيد فيه زيادة يخفى مثلها على الممثل للامور من زيادة في
الدعاء لمن لا يستحقها تبذل في مثلها الرشا او اضافة او حطيطة
او مسامحة في منشور يذهب بها جملة من مال الملك من حيث
لا يعلم لان الملك لا يلزمه تصفح جميع ما يكتب عنه ولا يتسع
زمانه لذلك والامور المهمة المعذوقة به من تدبير المملكة
وجلائل امورها اكثر من مدة الزمان وساعاته فتمت انضاف
الى ذلك اهمال كاتبه الموثوق به للنظر في دقائق الامور
المردودة اليه واتكل فيها على غيره ممن لا يقوم مقامه دخل
الخلل على المملكة وصار اولئك هم الملوك على الحقيقة لان

الامان الشريف وقد تلفظنا له به ليزداد وثوقا . ولا يجد بعدها سوء الظن
الى قلبه طريقا . وسبيل كل واقف عليه اكرامه في حال حضوره وواجراؤه
على احسن ما عهد من اموره . وليكن له ولكل من يحضر معه وما
يحضر او فر نصيب من الاكرام . وتبليغ قصاري القصد ونهاية المرام
والاعتماد على الحظ الشريف

الملك من تم ما يريد ونفذ له ما يؤثره * ويلزم متولى
 هذا الديوان اشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه
 ان من اعظمها خطرا ان يصدر جواب كل كتاب يصل
 اليه في يومه ولا يؤخر الى غده ويؤرخ في آخره بتاريخ ذلك
 اليوم فيقال وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا فان
 هذا يقيم للملك هيبة كبيرة ويدل على تطلعه على الامور
 واتصابه للتدبير وقته اهماله لامور دولته وكثرة احتفاله
 باستقامة شئونها ويؤثر له في نفس المكاتبين تأثيرا كثيرا
 ويستشعرون منه حذرا وخيفة ويكتب الى كل من المستخدمين
 بما عساه يذكره عنه غيره منهم او من غيرهم او ما يأتي به رافع
 او ينقله متخبر ويكشف منه ما يجب الكشف عنه ويمر ذكره
 صفحا عليهم (كذا) ويحذروا في كل وقت من ان يصل عنهم ما يخشي
 عليهم عاقبته او ترد اى الاخبار كان من ناحيتهم من قبل ان
 ينهوه فانهم حينئذ لا يكادون يخفون صغيرة ولا كبيرة ولا
 يجترحون ذنبا بينا وتجري الامور على ام نظام واوفى قضية *
 وينبغي ان يأخذ جميع المستخدمين في البلاد بتاريخ كتبهم
 وتحذيرهم من ترك ذلك فان في اهماله ضررا كثيرا واذا ورد

الكتاب خالياً من التاريخ لم يُعلم بعَر العهد بما ذكر فيه ام
هو قريب وهل فات وقت النظر فيما تضمنه او هو ممكن
واذا كان مؤرخاً عرف ذلك على الحقيقة وزالت الشبهة فيه *
ويجب ان يتأمل تواريخ الكتب الواصلة فاذا وصل كتاب
يقتضى تاريخه منذ كتب والى ان وصل اكثر من مسافة
الطريق انكر ذلك على متولى ايصاله فان اقام الدليل على
انه ساعة وصل بادر باحضاره انكر على مرسله تأخيره
انكاراً يردع مثله عن ذلك * ويجب ان لا يكتب عن الملك
الا بما يقيم منار دولته ويعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة
وحدودها . ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا
ذم لها على غابر الايام ومستأنف الاحقاب . وان امر بشيء
يخرج عن ذلك تلتطف في المراجعة بسببه وتبين وجه الصواب
فيه الى ان يرجع به الى الواجب * ويلزمه ان يكون المعنون
للكتب لان على كتبه العنوان بخطه شهادة عليه انه قد وقف
على الكتاب ورضى بما كتب فيه . وقد كان الرسم جارياً
بالعراق - وفيه الكتاب الافاضل - ان يكتب الكتاب ما
يكتبون ويقولون في آخره : وكتب فلان بن فلان ويذكر

اسم متولى ديوان الرسائل . فاكتمى ها هنا بكون العنوان بخطه
 عن ذكر اسمه فى آخر الكتاب . واما ما لا عنوان له كالمناشير
 وغيرها فمن الواجب ان يكون تاريخه بخطه ليقوم مقام العنوان
 مما يعنون من الشهادة عليه بارتضائه واحماده . ويلزمه ان يكون
 فيه جميع ما يفوق به معيذيه والمستخدمين معه ولا يلزم كل
 واحد منهم الا ما يخصه فقط ويكون معذوقا بالنفن الذى
 يتولاه لانه يجب ان يكون اكمل منهم ولذلك قدم عليهم
 وجعل اليه اريادهم واستخدامهم . فينبغى حينئذ ان يكون
 محيطا بجميع ما يلزمهم مما يأتى بيانه فى مواضعه من هذا
 الكتاب * ويلزمه ان يكون باعلى منزلة من الذكاء والقطنة
 واليقظة والاستدلال يسير القول على كثيره وبيعض الشىء
 على جميعه ويستغنى عن التصريح بالاشارة والايماء لا بل بالرمز
 والايجاء لينبه الملك على الامور من اوائلها ويعرفه خواتم الاشياء
 من مفتحاتها ويحذره حين تبدو له لوائح الامر من قبل ان
 يتساوى فيه العالم والجاهل * فمن احسن ما انتفع به من ذكاء كاتب
 ووزير ما حكى عن خالد بن برمك انه كان وبعض الامراء
 فى معسكر جالسين فى الخيمة فنظر الى سرب من الطباء وقد

أتى حتى كاد يخالط العسكر فقال لصاحبه اركب بنا وأنهمض
 الناس للركوب . فقال وما الخطب ؟ فقال الامر أعجل من ان
 ابين سببه . فركب واركب الناس فلم يستمروا الركوب الا
 والعدو قد دهمهم وقد بدرت غرر الخيل فوجدوهم مستعدين
 لهم ونصرهم الله على عدوهم . ولما وضعت الحرب اوزارها قال
 خالد بن برمك : ما الذي اعلمك بذلك ؟ قال لما رأيت الظباء قد
 خالطت العسكر عرفت انها لم تفعل ذلك مع نفورها من
 الانيس الا وقد حفزها امر عظيم من ورائها واستشعرت
 انها الخيل فكان الامر كما ظننت وخفت ان اقطع الوقت
 لأعلامك حقيقة ما ظننته ويدهنا العدو ونحن غير مستعدين
 له فهلك * ويلزمه ان يقيم حاجباً لديوانه لا يمكن احداً
 من سائر الناس ان يدخل اليه ما خلا المستخدمين فيه فانه مجمع
 اسرار السلطان الخيفة فمن الواجب كتمها . ومن أهمل ذلك
 لا يأمن ان يطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط
 مرتبته واذا كثر العاشون له (بتخفيف الشين) والداخلون
 اليه امكن المستخدمين معه اظهار الاسرار اتكالا على انها
 تنسب الى أولئك واذا احتجب هو ومستخدموه احتاجوا

الى كتمان ما يعامونه لانه لا ينسب اذا ظهر الا اليهم

فصل فيمن ينبغي ان يستخدم لتخريج الكتب الواردة

من الواجب اولاً ان لا يقرأ الكتب الواردة الى (١)

الا هو بنفسه ولما لم يكن ذلك ممكناً لوفورها واتساع

الدولة وكثرة المكاتبين من اصناف المستخدمين ووصول

الكتب ايضاً من الاقطار النائية والممالك المتباعدة ومن

المتحيزين للملك والمتقربين اليه بالمكاتبه وضيق الزمان

عن ان يتفرغ لذلك وجب تفويضه الى متولى ديوان رسائله

ولما كانت الحال عند متولى الديوان كذلك من انه لا يمكنه ان

يتولاه بنفسه لاشتغاله بالحضور عند الملك في بعض الزمان

لقراءة ما يخرج وتقرير ما يجاب به عن كل كتاب وتصفحه في

الديوان ما يكتب والمقابلة به احتاج ان يرد ذلك الى من ينوب

عنه فيه. والقصد بالمستخدم في هذه الخدمة تلخيص ما يرد في

الكتب ليسهل على رئيس الديوان عرضها وفهمها من غير

اخلال بها ولا خيانة فيها * وينبغي لمتولى الديوان ان يرد هذه

الخدمة الى كاتب يختاره لها ويرتضيه ويشق به فانها من جلائل

(١) يباض بالاصل يتعين ان يذكر فيه لفظ الملك بقرينة ما يأتي بعد

الخدم * وينبغي ان يختار هذا الكاتب مسلماً لان الحاجة الى
 كونه مسلماً كون صاحب الديوان مسلماً والعادة فيهما واحدة *
 ويجب ان يكون هذا الكاتب ديناً من المسلمين ليتخرج
 عن كتمان شيء او زيادة فيه * ويجب ان يكون شديد الذكاء
 جيد الاستخراج لسائر الخطوط الغريبة مقارنها وصالحها
 مضطعاً بتلخيص الالفاظ الكثيرة ونقلها الى الالفاظ القليلة
 بحيث يكون المعنى مضبوطاً لا يسقط منه شيء ولا يختل
 لتخرجها في ظاهره * ويسقط فضول القول وحشوه مثل
 الدعاء والتصدير والالفاظ المرددة * ويكون متوقفاً الفطنة
 سالماً من البله * ويجب ان تكون هذه الخدمة مردودة الى
 هذا الكاتب وحدها دون غيرها من اشغال الديوان ليتوفر
 عليها ويصرف ذهنه اليها ولا يخلط معها غيرهما فيعتذر اذا اخطأ
 بكثرة الشغل عليه ولا يجعل معه يد غيره ليكون متحققاً انه
 متى اخطأ لم يجد له عذراً ولا شريكاً يحيل عليه * ويسلم الكتب
 اذا خرجها (نخسها) الى متولى الديوان ليقابل ظاهرها
 بباطنها وان وجد فيها ما ينكره عنفه عليه ما كان يسيراً وان
 تابع ذلك منه صرفه واستبدل به

فصل في صفة من يجب ان يستخدم برسم الانشآت
المستخدم في هذه الخدمة يجب ان يكون لاحقا في
الصفات بمتولى الديوان فان لم يقدر على ذلك فان الذى يخصه
ان يكون مسلما حاجته الى الاستشهاد بكلام الله تعالى وكلام
رسوله والائمة من ولده صلى الله عليهم اجمعين والى معرفة
الحلال والحرام لذكر ذلك في موضعه وايقاعه اجمل مواعقه *
وان يكون فصيحاً بليغاً ادبياً سنى الرتبة في اللغة على المكان
من العربية حافظاً للكثير من رسائل البلغاء المتقدمين ليعرف
مغازيهم ومقاصدهم وانحاءهم ومطالبهم والاغراض التى رموا
اليها والمعانى التى اجر وانجزها (كذا) فيحذو وحذوهم ويزيد عليهم
ما استطاع من الزيادة * وان يكون راوياً للكثير من الشعر
ليأخذ معانى ما يريد منه ويحل ما يختاره ويأتى به منشوراً في
مواضعه . وهو اجل الكتاب المستخدمين في هذا الديوان
لانه يتولى الانشاء من نفسه تلقى اليه الكلمة الفذة والمعنى
الواحد فينشئ عليه كتاباً طويلاً وكلاماً كثيراً وانما يتكلم فيه
عن الملك . وكلما كان كلامه ابرع وفي النفوس اوقع عظمت
رتبة الملك وارتفعت منزلته عند الامة وهو الذى ينشئ

التقليدات (١) والكتب في الحوادث الكبار والمهمات العظام
التي يتلى ما يكتب فيها على فروق المنابر ورءوس الاشهاد
ويحتاج منه الى قوة الجدل واقامة الحجج وشدة المعارضة. وان
تكون الفاظه قوالب معانيه وان يحل من الفصاحة بحيث يحلو
الحق في معرض الباطل ويكسو الباطل شعار الحق ويمدح
المذموم ويزينه ، ويذم المحمود ويشينه ، ويصرف عنان القول
كيف شاء ويطيل في موضع الاطالة ويختصر مكان الاختصار
فان يزيد بن الوليد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد هم بالعصيان :

« اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاعتمد
على ايتها شئت والسلام » وهذا من الفصاحة والبلاغة والايجاز
في منزلة عالية جدا وقد اثر في نفس هذا المكاتب ولكن لو
كاتب به غير ابراهيم لما عمل فيه ولا نفع عنده . وانما
يكاتب الناس على مقدار افهامهم فقيمهم من يقنعه يسير الخطاب
وفيهم من لا ينفع فيه الا التحذير والايعاد والابراق والارعاد

(١) التقليد ويجمع على تقليدات وتقاليد هو الامر الفاضل
بتعيين النواب اى الولاة والفضاة والكتاب وعلى العموم ارباب
الوظائف غير العسكرية

وتكرير المعاني عليه وتضييق الطرق واقامة الحجج وكثرة
التبيين لمواضع خطئه ومواقع زلله وتبصره وترشده كما حكى
الثعالبي في كتابه الموسوم «باليتيمة» ان بلكا بن ونداد خورشيد
عصى على ركن الدولة بن بويه واشتدت شوكته واستفحل
امره فكتب اليه كاتب ركن الدولة وهو الاستاذ ابو الفضل
ابن العميد (١) عن صاحبه كتاباً في غاية الفصاحة . ولولا
كراهة الاطالة لسردت منه ها هنا ما يبين عن مقدار
فضيلته (٢) فلم يكن جوابه الا النزوع عن المعصية والرجوع

(١) كان الفضل بن العميد وزيراً لركن الدولة بن بويه الديلمي
تولى الوزارة سنة ٣٣٨ . قال ابن خلكان وكان متوسعاً في علوم الفلسفة
والنجوم واما الادب والترسل فلا يقاربه فيه أحد في زمانه وكان كامل
الرياسة جليل القدر . من بعض اتباعه صاحب بن عباد قال الثعالبي
وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقصده
جماعة من مشاهير الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح ومنهم ابو الطيب
المتنبي . وتوفي في صفر سنة ٣٦٠

(٢) اليك صورة ما عثرت عليه في كتاب اليتيمة قال :
وقد أجمع أهل البصرة في الترسل على ان رسالته التي كتبها الى بلكا
ابن ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه
وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام لا بلغ امام (فصل من أولها)

الى الطاعة وقال بل كما والله لقد كتب الى كتاباً ناب عن

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك واقبال عليك واعراض
عك . فانك تدل بسابق حرمة . وتمت بسالف خدمة . أيسرهما يوجب
رعاية . ويقتضي محافظة وعناية . ثم تشفعهما بمحادث غلول وخيانة . وتبعهما
بأنف خلاف ومعصية وادنى ذلك يحبط اعمالك . ويمحق كل ما يرعى
لك . لا جرم ائى وقفت بين ميل اليك . وميل عليك . اقدم رجلاً لصدمة
واؤخر أخرى عن قصدك . وأبسط يدا لاصطلامك واجتياحك . وائى
ثانية لاستبقائك واستصلاحك . وأتوقف عن امتثال بعض الامور فيك
ضناً بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنعة لديك وتأميلاً لفيئتك وانصرافك
ورجاً لمرجتك وانعطافك فقد يغرب العقل ثم يؤوب ويعزب اللب ثم
يثوب ويذهب الحزم ثم يعود ويفسد العزم ثم يصاح ويضاع الرأي ثم
يستدرك ويسكر المرء ثم يصحو ويكدر الماء ثم يصفو وكل ضيقة الى
رخاء وكل غمرة فالى انجلاء . وكما انك أتيت من اساءتك بما لم تحتسبه
اولياؤك فلا بدع ان تأتى من احسانك بما لا ترتقبه اعداؤك . وكما استمرت
بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت واخترت ما اخترت فلا عجب ان تنقبه
انتباهة تبصر فيها قبيح ما صنعت وسوء ما اثرت وساقيم على رسمي في
الابقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء والمطاوله ما أمكن طمعاً في
انابتك ومحكما لحسن الظن بك فليست اعدم فيما أظاهرة من اعدار
وأردفه من انذار احتجاجاً عليك واستدراجاً لك فان يشاء الله يرشدك
ويأخذ بك الى حظك ويسددك فانه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير
(فصل منها) وزعمت انك في طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها
واذا كنت كذلك فقد عرفت حالها وحابت شطريها فنشدتك الله الا ما

الكتاب في استصلاحى وردني الى طاعة صاحبه . فمكذبا

صدقتم عما سألتك: كيف وجدت ما زلت عنه وكيف تجد ما صرت اليه؟
 ألم تكن من الاول في ظل ظليل ونسيم عليل وريح ليليل وهواء عدي
 وماء روي ومهاد ووطي وكن كنين ومكان مكين وحصن حصين يقينك
 المتائف ويؤمنك الخائف ويكنفك من نوائب الزمان ويحفظك من
 طوارق الحدثنان عززت به بعد الذلة وكثرت بعد القلة وارتفعت بعد الضعة
 وأيسرت بعد العسرة وأثريت بعد المتربة واتسعت بعد الضيقة وظفرت
 بالولايات وخفقت فوقك الرايات ووطيء عقبك الرجال وتعلقت بك
 الآمال وصرت تكاثر ويكأثر بك وتشير ويشار اليك ويذكر على
 المتابر اسمك وفي المحاضر ذكرك فقيم الآن أنت من الامر؟ وما العوض
 عما عددت والخلف مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة
 نفسك ونقضت منها كيفك ونعمست في خلافها يدك وما الذي أظلك
 بعد انحسار ظلمها عنك أطل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
 قل نعم كذلك فهو والله اكثف ظلالك في العاجلة وأردحها في الآجلة
 ان أقيمت على المحايدة والعنود ووقفت على المشاحة والجحود (ومنها)
 تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستذكرها والمس جسديك
 وانظر هل يحس وأجسس عرقك هل ينبض وقتش ما حنا عليك هل
 تجد في عرضها قلبك وهل حلى بصدرك ان تظفر بفوت صريح أو موت
 مريح ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله قال مؤلف
 هذا الكتاب بلغني عن بلدك وكان آدب امثاله انه كان يقول والله ما
 كانت لي حال الا كما أشار اليه الاستاذ الرئيس ولقد ناب كتابه عن الكتاب
 في عرك ادبى واستصلاحى وردى الى طاعة صاحبه اه يتيمة الدهر

ينبغي ان يكون كاتب الملك اذا احتيج اليه في مثل هذا الحال
فعل مثل هذا الفعل وكتب كهذه الكتابة والا فما النفع به
والغنى الذي يوجد عنده . ومن قرأ سلطانيات الصابي (١)
التي كان يكتبها عن ملوك زمانه وجدها ذوب السحر (٢) وفي

(١) قال ابن خلكان ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي صاحب
الرسائل المشهورة كان كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة ولد
سنة ٣٢٠ او بعدها بقليل وتقد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هجرية
وكان يكتب للملوك من بني بويه ولكنهم كانوا يحقدون عليه تارة
ويرضون عنه اخرى ومن حقد عليه وابعد عضد الديلة بن بويه
وسبب ذلك انه كان امره ان يضع له كتاباً في اخبار دولتهم فعمله
ويقال انه نقل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه وهو يعمل
في الكتاب وسأله عن عمه فقال اباطيل انمقها واكاذيب الفقها قال
وكان مشدداً في دينه وجهده عليه عز الدولة ان يسلم فلم يفعل وكان
يحفظ القرآن الكريم ويستعمله في رسائله كانت وفاته سنة ٣٨٠

(٢) والى الفارسي نموذجاً من سلطانيات الصابي تقد به من
واسط الى سبكتكين الحاجب عند عصيانه

اما بعد اطال الله يا اخانا على الطاعة اللائقة بك والهداية
المشاكله لفضلك بقالك وادام عزك وتأييدك وسعادتك وسلامتك
ونعمتك وكفايتك وامتعنا بك في عود الى المعهود منك وانصراف
عما نزع الشيطان به لك ولا اخلانا منك ومن اجابة هذه الدعوة
فيك فان اولي ما اعتمده العاقل واتاه وذهب اليه وبوخاه ان

رتبة يقصر عنها كل أحد وعلم فضيلة ما كان رزق اولئك

يعرف الحق عليه فيوءه به كما يعرفه له فيقتضيه وان يتحرز في
مجارى كلمه ويتوقى في مساعى قدمه مما يوتغ الدين (يفسده) ويسخط
رب العالمين واذا نزلت عنده نعمة قراها بغاية شكره وحمده وأحسن
ضياقتها بمنتهى وسعه وجهده . . . اذ كان للنعم شرط من الشكر لا يريم
ما وجدته ولا تقيم ما فقدته . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها
ويعشى عيون المقتبسين ايماضها فيذهلون عن الامتراء لدرتها ويعمهمون
عن الاستمتاع بنضرتها ويكونون كمن اطار طائرهما لما وقع وتقر
وحشها لما انس ولا يلبثون ان يتعروا من جلبابها وينسلخوا من
اهابها . . . ونعيزك بالله من استمرار ذلك بك ونسأله ان يأخذ قبل
الهادي فيه بيدك . بقدرته

وانت أدام الله عزك الرجل الراجح الذي قد حلب الدهر اشطره
وعرف خيره وشره وخرج عن حد الحدائة وارقع عن عذر الغرارة
وتجمل بملابس السكحول وتجلى على أهل العقول . . . وقد أجرى
الله لك على أيدينا ويد الامير معز الدولة نعماً ما ندعى عليك شيئاً منها الا
وانت له مسلم ولسان حالك به متكلم لان ذلك السيد الماضي غفر الله
له اعطاك ما لم تسم اليه همه وخولك ما لم تبلغه منك امنية وفضلك
على ألوف كثيرة من عبيده واوليائه . وقروم كثيرة من أدانيه واقربائه
وانما ظن بك الايناء عابهم في الوفاء فأوفي بك عابهم في الرتبة
ولم يدر في خلدده رحمه الله ان مثل احسانه اليك يكفر . ومثل متجره
فيك يخسر وقد جذب بضعك من مطارح الارقاء العبيد الى مراتب
الاحرار الصيد وأوطأ الرجال عقبك وكثر مالك ونشبتك وعظم

الملوك منه وانه قد خلد لهم في صحف الايام ذكراً باقياً ومجداً
 نابتاً مع انتفاعهم به في وقته

خطرك وقدرك وأبعد صيتك وذكرك وانتهى بك من الاثرة والثروة
 الى ما أقدرك الآن على المخالفة والمكاشفة اللتين كنت بالعدول عنهما
 حرياً حقيقياً وباستعمال ضدتهما ولياً خليفاً وان تأملت ايدك الله
 صديعنا بك بعده وجدته أحسن وأجمل وأوفر وأجذل لاتنا ملكنا
 الامور ودبرنا الجمهور وقد رنا على ان تنفع ونضر ونسوء ونسر
 وتنقص وتزيد وترجع ونعيد فلم تلم لك مالا ولم تغير عليك حالا ولم تنزع
 عنك عادة ... بل زدناك على ما كنت تحويه واعطيناك اكثر مما رومته
 وتبغيه وكنت في ايامنا مرفهاً موفراً مصوناً موقراً مرفوعاً عن بذلة
 الخدمة محمولا على دالة الجريمة... مشفعاً فيما تسأله مجاباً الى ما تلمسه
 تقرب من قربت ونبعد من أبعدت ورضى ما رضيت ونكره ما كرهت
 اقطاعك مقرة عليك وموادك منصبة اليك لا تعرف الا الصبوح
 والغبوق والتمتع بالمأرب والاطوار ... وبناء الابنية المشيدة الرفيعة
 ونحن في نوائب تلم بنا وجوائح تبلغ منا بين مال ينكسر على ضماننا
 وزيادات نلتزمها لاوليائنا وموهن تعجز عنها الحال وكلف تزيد على
 الاستغلال... وما زلت تترقى في اطراح الحقوق واستعمال العقوق . الى
 ان صرت لا تحضر عندنا في مجلس ولا تركب معنا في موكب . وتدعى مع
 ذلك عاينا اتنا نبغيك الغوائل . وتنصب لك الجبائل
 وتالله لو كانت الهمة منك لنا واقعة بحقها ومقرونة لشاهدها لكانت
 طاعتك ايانا مظلوماً متحيفاً . أزين بك من مخالفتنا مقتصاً منتصفاً . فكيف

فصل فيمن ينبغي ان يستخدم في المكاتبه عن الملك الى الملوك
المماثلين له والمخالقين للفته وملته

الكاتب الذي ينبغي ان يؤهل لهذه الرتبة اعظم منزلة
من كاتب الانشاء الذي تقدم ذكره واعلى درجة لانه يجب

وعلام الغيوب المطامع على الضمائر والقلوب. يشهد عليك باستحالة ما تذكره
ولنا بصفاء ما نضمره. وانا بريئون من كل ما قلت وزعمت. وظننت واتهمت
ولو كنا نريد بك سوءا لكان مرامه اسهل وايسر. وطريقه اخصر
واقصر ولا نهزنا فيك فرصا كثيرة منها شعب غلمانك عليك واحاطتهم
بك... وقد علمت انا وقيناك منهم. وكفيناك اياهم. واتخذنا اليك من
حرسك وحماك. وصانك وكلاك. وفعلنا في ذلك ضد فعلك في فساد غلماننا
عائنا. وتربية الوحشة في قلوبهم منا... فوالله ما هممنا في الاوقات كلها
بقطع حبلك. ولا باضاعة لحقك. بل كنا الى الوقت الذي خرجت فيه الى
ما خرجت. نحفظك حفظ السمع والبصر. ونعتدك للتصاريف والغير. ونراك
على العلات التي تعرفها. والهنات التي تعلمها. الاخ الذي لا بد منه. والعلق الذي
لا عوض عنه. ولقد كنا نعجب من تلك الظنون التي تعترضك. والحفاه الذي
يبدو منك في ادعاء الغدر علينا. ونسب المكر الينا. وفي مصادتك ايانا. باقصاء
من ندنى. وادناء من تقصى. الا ترى اتنا شريناك باعين بك كل وزير وظهر
وكبير وصغير. الى ان قال في آخرها - وما كنا لتلقاك. لفاك الله هداك.
والهمك تقاك. لقاء المحاربين. الابدان تقدم اليك. تقدمه المعذرين. أخذاً
بأدب الله. في دعائك الى رشدك. والصدوف بك عن غيبك. ولاتناخ

أن يجمع بين ما فرضنا وجوبه على ذلك الكاتب من العلم
والمعرفة والفصاحة والبلاغة وحسن الالفاظ واتقان الانشاء
وبين ما يختص هو به من علو الهمة وقوة العزم وكبر النفس
فانه يكتب الملوك عن ملوكه . وكل كاتب فانه يجذبه طبعه
وخيمه وجبلته الى ما يشهيه في الكتابة . ومكاتبه الملوك احوج
شيء الى التفضيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشياء
المرعبة فكلما كان الكاتب أقوى نفساً واشد عزمًا وأعلى
همة كان في ذلك أمضى وعليه أقدر . وكلما نقص في ذلك
نقصت مخاطبته بقدره * فينبغي ان يختار من اعلى الناس

نياس الى هذه الغاية من ان تعود ونعود . كما كنا وكنت . اذ كان الله قادرا
على ان يكشف الخطب ويذل الصعب . ويدنى البعيد . ويلين الشديد .
وكنا نريك اذا استقلت . ونعذرک اذا اعتذرت . وبالله ما ذلك من جهتنا
متعذرا . وان كان من جهتك متيسرا فان فعلت ورددت الامور الى
حقوقها ورسومها . وازلت كل ما احدث من تغييرها وتبديلها . واستظهرت
لنفسك بما تحب ان تستظهر به لها . فان الله يعفو عما سلف . ويحسن في المؤتلف .
وان آيت وتماما ديت . فالحجة متوجهة عليك والجيوش من كل ناحية منصبة
اليك . ولا تأخر لنا عنك . ولا عائق لنا دونك . والله الحاكم بيننا وبينك .
وهو المطلع على سرنا وسرك . والمجازي لنا ولك والسلام . وكتب يوم الاثنين
لثمان خلون من المحرم سنة اربع وستين وثلثمائة

طبقة في ذلك وان يكون على دين الملك ومذهبه لما شـرطناه
 اولاً ولكونه يكتب الملوك المخالفة ماتهم ملة ملكه وربما
 احتاج في مكاتباته الى تفخيم ملة ملكه والاحتجاج لها واقامة
 الدلائل على صحتها وان يحتج لملة من اعتقد خلافها بل المخالف
 للعملة انما يبدو له مواضع الطعن لا مواضع الحجج فان اعترض
 معترض بالصابي وانه كان يكتب عن ملوك مسلمين وهو على
 غير ملتهم فالجواب انه كان من اهل ملة قليل اهلها ليس لهم
 ذكر ولا مملكة ولا لهم دولة قائمة ولا منهم محارب لاهل
 الاسلام ولا من يكتب ويكتب ولا من يخشى من الكتاب
 الميل اليه والانحراف معه ثم ان المشهور من احوال ذلك
 الكتاب انه كان قد حفظ من ملة الاسلام وسنها مما يحتاج
 اليه في كتابته ما لا يوجد عند كثير من المسلمين في زمانه
 وكان في صناعته الغاية في وقته فقادت ملوك عصره الضرورة
 اليه اذ لم يجدوا من المسلمين من يفهمه ولا يسد مسده *
 ومما يحتاج ان يفهمه هذا الكتاب ان يعرف الفرق بين مخاطبة
 الملوك الاسلامية وبين مخاطبة الملوك المخالفين للعملة واللسان
 لان مخاطبة من يتكلم باللسان العربي مشهورة المقاصد معروفة

الطرائق يستعمل فيها الاسجاع وتمييق الالفاظ وتحسينها
 وزخرفتها وترتيبها مع ضبط المعنى وحسن التأليف. واما مكاتبة
 المخالفين للسان فانه لا ينبغي ان يلم فيها بالالفاظ المسجوعة ولا
 ضرب الامثال والتشبيهات والاستعارات فان ذلك انما
 يستحسن ما دام مفهوماً في تلك اللغة وغير منقول الى غيرها.
 واكثر هذه الضروب اذا نقلت من لغة الى لغة فسدت
 معانيها وعاد حسنها قبيحاً. ومنها ما لا يفهم بعد نقله بته ومنها
 ما ان فهم له معنى كان غير ما قصد لاسيما ان كان الناقل لها
 مقصراً في العلم باللغتين المنقول منها والمنقول اليها. وأرى ان
 الافضل في هذا الباب ان يتولى هذا الكاتب نقل ما يكتب
 به ان كان عارفاً بلغة من يكتبه بنفسه وان لم يكن عارفاً بها
 فيتطلب من يكون عارفاً بها فينقل ما يكتب به ويكتبه بخط
 اهل تلك اللغة ولسانهم إما في ذيل الكتاب او في كتاب
 طيه. لانه قد لا يجد الملك الذي يصل اليه الكتاب ناقلاً
 ماهراً عالماً باللغتين فربما أفسد الناقل المعنى فعاد الكتاب
 المصالح منسداً. فيبطل الغرض الذي قصد به وهذا باب
 يجب صرف العناية اليه جداً. وليس يحتاج في مكاتبة اهل

اللغات المخالفة لغير المعاني السديدة البريئة من الاستعارات
والكتابات الصائبة لمواضع الحجج التي تبقى جزالتها ونضارة
معانيها وبهجتها مع النقل والترجمة وهذه المرتبة أعلى مراتب
الكتاب ولا يجب ان تناط الا بمن كان يصلح لتولى هذا
الديوان

(فصل في من ينبغي ان يستخدم لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها)

هذه الرتبة دون تينك الربتين وهي مع ذلك عالية الخطر
جليلة القدر ويجب ان يختار لها من يكون لاحقاً بالمستخدم
فيهما ويكون زكياً فهما عالماً من الادب والعربية ما يؤمنه من
الزلل والخطأ في ألفاظه ومعانيه ويكون عمله كتب الاجوبة
والاوامر المبتدأ بها الى كبراء الدولة وولاتها ووجوهها من
الاجناد والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال وأنشاء تقليدات
ذوى الخدم الصغار والامانات وكتب الأيمان والقسامات (١)

(١) اورد ابن فضل الله في الفصل الثالث من كتابه (التعريف
بالمصطلح الشريف) تحت عنوان الايمان التي يستحلف بها للمبايعة
التامة نسخاً بعضها لاهل الاسلام على اختلاف وظائفهم وبعضها لاهل
الكتاب من النصارى واليهود وغيرها للسامرة والمجوس واهل البدع

وينبغي ان يكون مأموناً على الاسرار كاف اليد نزه النفس
عن حطام الدنيا لانه يطعم على اكثر مايجرى في الدولة ويعلم
بالوالى قبل توليته والمصروف قبل صرفه وينبغي ان يختار سريع

من الروافض والحوارج والدروز وانا نأتى هنا على نسخة عين اهل
الاسلام وهي

اقول وانا فسلان والله والله والله وتالله وتالله وتالله وبالله وبالله
وبالله والله العظيم الذي لا اله الا هو البارى الرحمن الرحيم عالم الغيب
والشهادة والسر والعلانية وما تخفى الصدور القائم على كل نفس بما
كسبت والمجازى لها بما عملت وحق جلال الله وقدره الله وعظمة
الله وكبرياء الله وسائر اسماء الله الحسنى وصفاته العليا انى من وقتى هذا
وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتى ولا أزال مجتهداً في اخلاصها
وأصفيت طوبيتى ولا أزال مجتهداً في اصفائها في طاعة مولانا (ويذكر
لقبه ونسبه) وخدمته ومحبه وامتنال مراسمه والعمل بأوامره .
وانى والله العظيم حرب لمن حاربه سلم لمن سالمه عدو لمن عاداه ولى
لمن والاه من سائر الناس اجمعين . وانى والله العظيم لا أضمر لمولانا
سوءاً ولا غدرأً ولا مكرأً ولا خديعة ولا خيانة في نفس ولا في
مال ولا سلطنة ولا قلاع ولا حصون ولا بلاد ولا غير ذلك ولا
أسعى في تقريب كلمة أحد من أمرائه ولا بماليكه ولا عساكره ولا
أجناده ولا عربانه ولا تركانه ولا استمالة طائفة منهم لغيره ولا أوافق
على ذلك بقول ولا فعل ولا نية ولا مكاتبة ولا مراسلة ولا اشارة
ولا رمز ولا كناية ولا تصريح فان جاهنى كتاب من أحد من خلق

اليدي في الكتابة حسن الخط اذ كان هذا الفن اكثر ما يستعمل
ولا يكاد يقل في وقت من الاوقات

الله بما فيه مضرة على مولانا او على دولته لا تعمل به ولا اصغى اليه
واحمل الكتاب الى بين يديه الشريفه هو ومن احضره ان قدرت
على امساكه وانى والله العظيم افي لمولانا بهذه اليمين من اولها الى
آخرها لا انقضها ولا شيئاً منها ولا استثنى فيها ولا في شيء منها ولا
اخالف شرطاً من شروطها ومتى خالفها او شيئاً منها او استفتيت فيها
او في شيء منها طلباً لنقضها فكل ما املكه من صامت وناطق صدقة
على الفقراء والمساكين وكل زوجة في عقد نكاحه او يتزوجها في
المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب وكل مملوك أو أمة في
ملكه أو يملكهم في المستقبل احرار لوجه الله تعالى وعليه الحج
الى بيت الله الحرام بمكة المعظمة والوقوف بعرفة ثلاثين حجة متواليات
متابعات كوامل حافياً حاسراً وعليه صوم الدهر كله الا الايام المنهى
عنها وعليه ان يفك الف رقبة مؤمنة من أسر الكفار ويكون ريثاً
من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن دين الاسلام ان
خالفت هذه اليمين او شرطاً من شروطها وهذه اليمين يميني وانا فلان
والنية فيها بأسرها نية مولانا فلان ونية مستحلفي له بها لانية لي في
باطني وظاهري سواها أشهد الله على بذلك وكفى بالله شهيداً والله
على ما أقول وكيل ويكتب الخالف اسمه بخطه او بخط من يكتب عنه
ان كان ممن لا يكتب

(فصل في من ينبغي ان يوهل لكتب المناشير
والكتب اللطاف والنسخ)

هذه المنزلة دون تلك المنازل وهي لاحقة بالمنزلة التي
قبلها وكأنها جزء منها ولكن لما كان هذا الشغل واسعاً وهو
أكثر عمل الديوان والذي لا ينفك منه لم يكديستقل به رجل
واحد فيحتاج الى معاضدته بأخرى يكون دونه في المنزلة ويجعل برسم
تسطير المناشير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحضرة وكتب
تذاكير المستخدمين ونقلها مما يمثله صاحب الديوان وعلى
نسخ جميع ما يكتب في هذا الديوان ويصدر عنه في نسخ
تكون مخلدة فيه ولا تغادر الميضة بحرف لتكون موجودة
متى احتيج اليها (١) وعلى نقل ما يخص ديوان الخراج فانه كثيراً
ما ترد الكتب مضمنة أشياء من أمور الخراج وما لا يعلم كيف
الاجابة عنه الا متولى ديوانه. وليس ينبغي ان يخرج الكتب
المضمنة ذلك الى ديوان الخراج ليجاب عنها منه لانهما قد تشتمل

(١) وهي المعروفة الآن بدفاتر الكوينا في بعض الدواوين
بخلاف البعض الاخر الذي يرى ان هذه الطريقة أسهل تناولاً وأكثر
دقة فيستعملها كما اشار اليها ابن الصيرفي

على اشياء غير ذلك لا يجوز ان يوقف عليها فينبغي ان ينقل
 هذا الكتاب الفصول المختصة بذلك في اوراق ويعين الكتب
 التي وصلت فيها وتاريخها والجهة التي وردت منها ويبيضا على
 هيئتها ويستدعى من متولى ديوان الخراج الجواب عن كل
 منها في تلك الاوراق ثم يعرض جميع ذلك على الملك ويستخرج
 امره بامضاء المكاتبه به أو تغييره . وينبغي ان يكون هذا
 الكتاب مأمونا كتوما للبر فيه من الادب ما يامن معه من
 الخطأ واللحن في لفظه وخطه ويكون حسن الخط او بالغا فيه
 الى القدر الكافي

فصل في من ينبغي ان يكون منتصباً في هذا الديوان

لما كانت البلاغة التامة وحسن الخط قل ما يجتمعان
 وقد شرطنا في الفصل الاول شروطا فيمن يستخدم للانشاء
 ومكاتبه الملوك قل ما توجد في أحد مع حسن الخط ووجب
 ان يختار للديوان مبيض برسم الانشآت والسجلات والتقليدات
 ومكاتبات الملوك وان يكون حسن الخط الى الغاية الموجودة
 لا يكاد يوجد في وقته احسن خطا منه (١) لتصدر الكتب عن

(١) قيل الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً . قال ابن ممان ومن

الملك بالالفاظ البارة والخط الرائع فان ذلك اجل للمملكة
واكثر تفخيماً عند من يكتبه وتعظيماً له في صدره فاما ماله
في الامانة وكتمان السر ونزاهة النفس فعلى مثل ما تقدم وصفه
فيمن تقدم

فصل في من ينبغي ان يستخدم متصفحاً لما يكتب اعانة لتولى الديوان

لما كان كل واحد من هؤلاء الذين شرطنا استخدامهم
غير معصوم من السهو والزلل والخطأ واللاحن وعثرات القلم
أغرب ما مر بي في ذلك العهد ان عبد الله بن طاهر وقع على رقعة
معتذر اليه خطه غير حسن (قد أردنا قبول عذرك فاعتطفنا دونه تبيح
خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت
أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحاجة ويمكن له ادراك
البغية) أورد ذلك ابن ممتي وأردفه بقوله : وهذا تجن من عبد الله
ابن طاهر أو مغالطة فقد كان لهذا المعتذر ان يجيب عن هذا التوقيع
بما هذا معناه : لما علمت ان طريق المعتب لا يسلك وغاية المتجني لا
تدرك فاشتغلت لما دفعت اليه بالفكر في سوء الخط عن اعمال اليد في
تحرير الخط ولو اني أجدت فيما كتبت به من خطي وأقمت الدليل على
ما ذكرته من عذري لقلت استرسل استرسال المدل وكتب كتاب غير
المحتفل بأنه الخلل وما قوة جنائته في المخاطبة الا لفضيلة ذنب الى ولا
جريان يده في المكاتبه الا لبقية جرأة منه على وعند الله تجتمع الخصوم
وفي مقام عدله يتصف الظالم من المظلوم . اه

وكل احد يكاد أن يتغطي عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره
 وكان الشغل على متولى الديوان كثيرا جدا والزمان عليه
 اضيق من ان يوفى كل ما يكتب بين يديه حق النظر . وكان
 القصد ان يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطا
 ولفظا ومعنى واعرابا حتى لا يجذطاءن فيه مطعنا ويجب ان
 يستخدم لتولى الديوان معين يتصفح جميع الانشآت والتقليدات
 والمكاتبات وسائر ما يسطر فيه لانه يغنى عن نظر متولى
 الديوان لها واستسعافه اياها وليسكى يحمل عنه اكثر الكل
 فيها وتصير اليه وقد قاربت الصحة أو بلغت فتريحهم من الاصلاح
 والتغيير لدقائق الامور وتوفر نظره وتصفحه على جلائها
 وعلى المعاني نفسها . وينبغي ان يكون هذا المستخدم المتصفح
 على المنزلة جدا في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله زكيا حسن
 الفطنة عاقلا مأمونا ويؤخذ الكتاب بعرض جميع ما يكتبونه
 وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان فاذا تصفحه
 واستوفته كتب خطه فيه بما يعرف به رضاه عنه لياتزم بدرك
 ما فيه ويرأ منشئه

فصل فيما ينبغي ان يوضع في هذا الديوان من الدفاتر والتذاكير
وصفة من ينبغي ان يعذق به ذلك

هذا باب كبير من اهم ما اعتمد في هذا الديوان ويجب
ان يختار له كاتب مأمون طويل الروح صبور على التعب
محب للعمل فيضع فيه تذاكير تشتمل على مهمات
الامور التي تنهى في ضمن الكتب ويظن انه ربما سئل عنها
او احتيج اليها فيكون وجودها من هذه التذاكير اهون من
التفتيش عليهما من الاضابير (١) ويجب ان يسلم اليه جميع الكتب
الواردة بعهد ان يكتب الاجابة عنها ليتأملها وينقل منها في
تذاكيره ما يحتاج اليه وان كان قد اجيب عنها بشيء نقله ويجعل
لكل صفقة اوراقاً من هذه التذاكير على حدة تكون على
رؤوس الاوراق علامات باسم تلك الصفقة او الجهة ويكتب
على هذه الصفقة: فصل من كتاب فلان الوالى او المشارف او
العامل ورد بتاريخ كذا مضمونه كذا اجيب عنه بكذا اولم
يجب عنه الى ان تفرغ السنة فيستجد للسنة التي تلوها تذكر

(١) الاضابير هي المسماة الآن الملفات او الدوسيبات

اخرى. ويجعل له ايضاً تذكرة يسطر فيها مهمات ما يخرج به
 الاوامر في الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها
 وتكون على تلك الهيئة من ذكر النواحي والمستخدمين
 واذا ورد جواب عن هذا الفصل كتب في ذكرته ورد
 جوابه بتاريخ كذا يتضمن كذا. وهذا اذا اعتمد وجد السلطان
 جميع ما يسأل عنه حاضراً في وقته وغير متعذر عاينه (١)
 ويجب لهذا الكاتب ان يضع في هذا الديوان دفترًا بالقباب
 الولاية وغيرهم من المستخدمين واسمائهم وترتيب مخاطباتهم
 وتحت اسم كل واحد منهم كيف يكتب: ابكاف الخطاب او هاء
 الكناية، ومقدار الدعاء الذي يدعي له به في السجلات وفي
 المكاتبات والمناشير والتوقيعات لاختلاف ذلك في عرف
 هذا الوقت (٢) ويضع فيه ايضاً القباب الملوك الابعاد والمكاتبين

(١) هذه التذاكر خصوصية للكتابة بمشابهة مفكرات لهم
 وليست من قبيل الدفاتر الرسمية وقد نصح ابن الصيرفي باتخاذها ليكون
 الكاتب على الدوام حاضر الجواب وربما استعمل بعض حذاق الكتابة
 الآن هذه الطريقة التي لا تخفى فائدتها

(٢) ان ذلك وما بعده ليكشف عن مقدار حرص الرجل على
 دقائق صناعة الكتابة وانها نصيحة مفيدة لكتاب زماننا الذين تصدر

من الآفاق وكتابتهم واسمائهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره
 ليكون هذا الدفتر حاضراً لدى الكتاب ينقلون منه في
 المكاتبات مما يحتاجون اليه لانه ربما تعذر حفظ ذلك عليهم
 ومتى تغير شيء منه كتبه تحته. ويجعل لكل خدمة ورقة مفردة
 فيها اسم متواليها ولقبه ودعاؤه ومتى صرف كتب عليه صرف
 بتاريخ كذا وأجرى في الدعاء على منهاجه او زيد كذا او نقص
 ولا يتغافل عنه فانه ان اهل شيئاً من ذلك زل بزله الكتاب
 وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه * وينبغي ان يضع دفترًا
 للحوادث العظيمة وما يتلوها مما يجري في جميع المملكة
 ويذكر كلا منها في تاريخه فان المنفعة بذلك كبيرة حتى انه لو
 جمع بين هذين الدفترين تاريخ لا اجتماع. ويجب ان يضع تبياناً
 للتشريفات والخلع ليكون قدوة متى احتيج اليها ومثال ذلك
 ان يكتب خلع على فلان عند استخدامه كذا بتاريخ كذا خلعا
 صفتها كيت وكيت عدة ائوابها كذا وكذا ويصف كل ثوب
 منها وقيمته وجنسه وسيف صفته كذا ان كان من ذوى
 السيوف وقيمته وطوق صفته كذا ومنطقة صفتها كذا ان

منهم الكتب لاناس في درجة واحدة بألقاب مختلفة

كان ممن له ذلك ويستعلم قيمة هذه الاشياء ممن يتولى خزنها
 واستعمالها فاذا صرف مستخدم وعوض بغيره واستعلم الملك
 منه عن شيء من رسوم من كان قبله وجدده متيسراً عنده
 حاضرآ. ويجب ان يعمل فهرستا للكتب الواردة مفصلاً مسانهة
 ومشاهرة ومياومة ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته
 كتاب ورد بتاريخ كذا ويشير الى مضمونه اشارة تدل عليه
 أو ينسخه جميعه ان دعت الحاجة الى ذلك ويسلمه بعد ذلك
 الى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما يوسف في بابه. ويجب
 ان يعمل فهرستا للكتب الصادرة على حدته على التأليف الذي
 ذكرناه في الكتب الواردة. ويجب ان يعمل فهرستا للانشآت
 والتقليدات والامانات والمناشير وغير ذلك مشاهرة في كل
 سنة يجمع شهورها واذا انقضت سنة استجد آخر وعمل فيه
 على مثل ما تقدم فان هذه القوانين اذا اعتمدت في ديوان
 الرسائل انضبطت أموره ولم يكديختل منه شيء وكان جميع
 ما ياتمس منه موجودا باهون سعى في اسرع وقت * ويجب
 ان يضاف الى هذا الكتاب النظر فيما يصل الى هذا الديوان
 من الكتب بالخط الارمني أو الرومي أو الفرنجي أو غيره

من الخطوط المخالفة للخط العربي وان يحضر من هو مشهور
 بمعرفة ذلك الخط وقراءته ونقله الى الكلام العربي فان كان
 ذلك المترجم يحسن الخط العربي تركه يكتب بخطه تفسير ذلك
 الكتاب في ظهره وان كان مشحوناً بطناً وظهرًا كتب ورقة
 تجعل تلوه مأمثاله: يقول فلان اني حضرت الى ديوان المكاتبات
 بتاريخ كذا وسلمت الى الرقعة او الكتاب الذي هذا الخط في
 ظاهره وان كان ليس له ظهر كما قدمنا نقله في خطه على هيئته
 ثم قال وسلم الى خط بلغة كذا نسخته على هيئته وينسخه على
 هيئته بالقلم الذي هو به مكتوب وسئلت عن تفسيره فدكرت
 انه كذا وكذا ويسرده الى آخره وبذلك اشهدت على نفسي
 شاهدين ان هذا الذي ذكرته تفسيره بلا زيادة ولا نقص
 وان لم يكن يحسن الكتابة العربية كتب عنه الكتاب بمحضر
 من الشاهدين واشهد عليه لئلا يجمع فيما يقول او يغيره
 او ينقصه لان اكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط
 فربما كتم عنه شيئاً او داجى فيه فاذا رعب بالاشهاد وقيل له ان
 غيره يحضر لتفسيره ايضاً فربما خاف وادى الامانة

فصل في من ينبغي ان يستخدم خازن لهذا الديوان وما مقتضى خدمته
ينبغي ان يختار لهذه الخدمة رجل زكى فطن عاقل مأمون
ملازم للحضور بين يدي الكتاب المستخدمين فيه فتمت كتب
المنشئ او المستخدم لمكاتبة الملوك كتابا سلمه الى المندوب
للتسليم فنسخه حرفا بحرف وكتب باعلاه نسخة كتاب كذا
الصادر في وقت كذا وكذا التاريخ بيومه وشهره وسنته وتسلمه
هذا الخازن فشكه مع امثاله في شكة تلك السنة وكذلك متى
كتب الكاتب المؤهل لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها
وامرائها او المستخدم لكتب المناشير وغيرها شيئا مما هما
مندوبان له اخذ الناسخ ينسخه حرفا بحرفا وكتب عليه ما تقدم
ذكره وجعل هذا الخازن كل شيء من ذلك مع شبهه
وجعل كل سنة على حدتها مقسمة اثني عشر فصلا كل شهر
على حدته مضمنا شكة واحدة حتى اذا التمس شيئا من ذلك
وجده باهون سمى . وكذلك يجمع الكتب الواردة بعد ان
ياخذ خط الكاتب الذي كتب جوابها بما مثاله ورد هذا
الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا وكتب جوابه بتاريخ
كذا وان اقتضت الحال الا جواب له اخذ عليه خط صاحب

الديوان بانه لا جواب له لتبراً ذمته منه ولا يتأول عليه في وقت
 من الاوقات انه اخفاه ولم يعلم به . ويجعل لكل شهر منها
 اضبارة يكتب عليها بطاقة تتضمن اسم الشهر ويجعل للسكتب
 في ضمنها اضابير لكل صفقة من الاعمال اضبارة وعليها
 بطاقة مثاله : بطاقة لما ورد من المكاتبات من اعمال الصعيد
 الادنى في الشهر الفلاني يجمع فيها كتب متولى الحرب
 والمشارف والضمان والعمال ومتولى الترتيب (كذا) (١)
 والقضاة ومن عساه ان يكتب او يرفع رقعة تختص بتلك
 الناحية فيجعلها معها وكذلك لسيوط اخرى ولا تخيم اخرى
 وللصعيد الاعلى اخرى ولكل ناحية من النواحي اضبارة

(١) قال ابن مماتي في كتاب قوازين الدواوين المشارف من لوازمه
 ان يكتب على الوصولات وعلى الحساب ويكون له تغليق بخدمة ويقابل
 به على المستخدمين معه ولا يلزمه عمل حساب ويطلب بالحاصل
 والضامن هو الذي نسميه اليوم (الملتزم) قال ابن مماتي كل ما تأخر
 من مال ضمانه لزمه القيام به فان بقي له في جهة المعاملين مال كان
 السلطان بالخيار في أن يقبل الحوالة به عليهم بعد تحقيقه في ذمتهم او لا
 يقبل وله أن يطالبه بما هو في ذمته ويعود هو بالطلب على من عنده
 الباقي

على حدة ويحيط بالجميع للشهر المذكور اضبارة جامعة كما بينا
 ثم ينتقل الى الشهر الآخر فيفعل فيه كذلك فتمت التمت
 مطالعة أو كتاب وجدت في الحال * وينبغي لهذا الخازن أن
 يحتفظ بجميع ما في هذا الديوان من الكتب الواردة وينسخ
 الكتب الصادرة والتذاكير وخرائط المهمات وضراب
 الرسوم وغير ذلك مما فيه احتفاظاً شديداً * ويكون بالغاً في
 الامانة والثقة الى الحد الذي لا مزيد عليه فإن زمام كل شيء
 بيده ومتى كان قليل الامانة أمالته الرشوة الى اخراج شيء
 من المسكاتبات من الديوان وتسليمه الى من يكون عليه فيه
 ضرراً أو لمن يأخذه نفع وهذا أمر متى اعتمده الخازن أضر
 بالدولة ضرراً كثيراً من حيث لا يعلم الملك ولا أحد. ومن
 أحسن ما سمعته في أمانة خازن ما رواه علي بن الحسن
 الكاتب المعروف بابن الماشطة في كتابه المعروف بجواب المعنى
 في الخراج من انه كانت تجمع الاعمال والحسابات بالعراق
 بعد كل ثلاث سنين الى خزنة تعرف بالخزنة العظمى كان
 يتولى في وقته ذلك رجل يعرف بمحمد بن سليمان الكانجار
 وكان شديد الامانة بالغاً فيها الى المبلغ الاقصى وكان رزقه

كل شهر خمسمائة درهم تكون بخمسين ديناراً من صرفهم ذلك (خمسة وعشرين جنبهاً تقريباً) . وكان لهذا الخازن خازن يعينه يقال له ابراهيم فحدث ابراهيم أن رجلاً لقيه في بعض طرقه من اسباب ابي الوليد احمد بن ابي ذواد فقال له هل لك في الغنى بقية عمرك وأعمار عقبك من بعدك من حيث لا يضرك؟ فقال هذا لا يكون . فقال لا بلى ، في خزائنك دفتر في قراطيس أعرف موضعه من بعض الخزائن من رفوفها واسألك ان تنقله من ذلك الرف الى رف غيره ولا تخرجه ولا تغيره وأحمل اليك مائة ألف درهم وأعطيك كتاب ضيعة تغل لك كل سنة ألف دينار وتخرج عن الديوان . قال فارتعد من هول ما سمعه وقال ليس يمكنني في هذا شيء الا بأمر صاحبي . فقال له فاعرض ذلك على صاحبك واجعل هذا الشيء له ونجعل لك شيئاً آخر . فعرف محمد بن سليمان الخازن صاحبه بالخبر وكان في منزله آخر نهار فقال له ما قلت للرجل؟ قال قلت له اني استأمرك ، فأمر ابناً له وابن أخ بالتوكيل به فلم يفارقاه طول ليلته فلما أصبح صار معه الى الديوان فوقفه على الدفتر فأخذه محمد بن سليمان الخازن وحمله

في قباه ولم يزل يترقب علي بن عيسى صاحب الديوان حتى حضر فلما حضر صار اليه وكان ابو الوليد في حبسه فقص عليه القصة ودفع اليه الدفتر فنظر فيه فوجده نسخة كتاب من بعض النظائر بما وقف عليه من فضل ما بين القوانين التي كانت تلزم ضياع احمد بن ابي ذواد وبين ما يلزمها على معاملة العامة لجميع السنين (١) وان جعلته أكثر من ثلاثين ألف درهم (ثلاثة ملايين من الدينارين أو نحو مليون ونصف من الجنيهاً) فأحضر علي بن عيسى ابا الوليد واسمعه كل غليظ على جلالة رتبته وأمر بأخذ قلنسوته وان يضرب بها رأسه ويطلب بالمال . فلولاً أمانة هذا الخازن ونزاهة نفسه وصلفها عن المال الذي بذل له مع كثرتة لرغب فيه ورأى ان لا شيء عليه في نقل دفتري من مكان الى مكان وهو في الخزانة لم يبرح منها فيتوجه عليه بذلك ضرر ولا خرج من يده فيظهر في يد غيره ولا يعرف موضعه

(١) يعني ان بعض النظائر أو المفتشين اكتشف ان أراضى ابي الوليد مقررة عليها ضرائب أقل من أمثالها وطلب معاملته اسوة جيرانه فكان المطلوب منه عن الفرق لسنين مضت أكثر من ثلاثين مليون درهم يعني مليون ونصف من الجنيهاً

فيطلب منه ورأى وجوه السلامة واضحة ونيل الغنى قريباً
فكان يضيع على هذا السلطان ذلك المبلغ الكثير من المال
فمتى لم يكن الخازن بهذه الصفة لم يؤمن من غوائله * ويلزم
الخازن جمع كل شيء الى مثله نحو الاجوبة الديوانية والخطوط
الرومية والارمنية وغيرها مما يحتاج الى النقل والترجمة وغير
ذلك مما يطول شرحه ويكون للمباشرة له حكمها (كذا) وعلى الجملة
فانه يحتاج فيه ان يكون أوثق من كل من في هذا الديوان
وآمن وأثره نفساً

فصل فيما يختص بالتوقيعات

لما كان التوقيع عن الملك قد صار على العادة الجارية
في هذه الديار وكان جزءاً من ديوان المكاتبات لترادف
مرور السنين وهو مستقر فيه وجب ان يذكر في هذا
الكتاب. والتوقيع عن حضرة الملك أمر جليل (١) يجري

(١) وقع كاتب الانشاء عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بمناسبة
صرف مرتبات المرتزقين

« الفقر مر المذاق. والحاجة تذل الاعناق. وحراسة النعم بادرار

مجرى الانشاء عنه بل أوفى رتبة لان به المنع والاطلاق والصرف

الارزاق . فليجروا على رسومهم في الاطلاق . ما عندكم ينقد وما عند
الله باق «

ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار (استمارة) الرواتب مانصه
أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثيرا الا عطاء . ولا يكدره بالتأخير
له والتسويق والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من
القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت
قوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورافته . وأمنهم مما كانوا وجلين
من مخافته . وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للانعام والمن . وتهنئة
بصدقة لا تتبع بالاذي والمن . فليعتمد في ديوان الجيوش المتصورة اجراء
من تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما القوه وعهدوه من رواتبهم
وايجابها على سياقها لسكاقتهم من غير تأول ولا تعنت ولا استدراك ولا
تعقب وليجروا في نسيانهم على عاداتهم . لا ينقض من امرهم ما كان مبرما
ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما . كراما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا .
وعملا بما اخبر به عز وجل في قوله تعالى «انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا» ولينسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى
ومن مستحسن توقيعات جوهر القائد على رقعة رفعت اليه بمصر :
«سوء الاجترام . اوقع بكم الاتقام . وكفر الانعام . اخرجكم من حفظ
الذمام . فالواجب فيكم ترك الايجاب . واللازم لكم ملازمة الاحتساب . لانكم
بدأتم فأسأتم . وعدتم فتعديتهم . فابتدأؤكم ملوم . وعودكم مذموم . وليس
بينهما فرجة الا تقتضى الذم لكم . والاعراض عنكم . ليرى أمير المؤمنين
صلوات الله عليه رأيه فيكم «

والتصريف وغير ذلك من جلائل الامور. ويجب ان يرتاد له
 من يكون مأمونا في الغاية لئلا يدغل فيه ويتم على الملك مالم
 يأمر به فان اشغال الملك كما ذكرنا اعظم واكثر من ان
 يتصفح كباثر الامور وصغائرهما. ويكون ذكياً نحريراً لئلا يدخل
 عليه من الغلط على سبيل السهو والبلادة مالم يقصده. ويكون
 جيد الخط فان الخط اول ما تلحقه العين. ويكون خيراً بما يقوله
 بصيراً بترتيب التوقيعات واوضاعها وقوانين مخاطبات فيها
 مخلصاً لمن يوقع عنه ويوقع اليه ويوقع له في الشيء الواحد
 حتى لا يدخل على واحد منهم مضرة ولا عتب ولا ينقص
 شرطاً من الشروط الواجبة في التوقيع يقع بها اختلال. وتضطرب
 لاجلها الحال. ويكون جليلاً على الملازمة واسع الصدر غير
 ضجر من ترادف حوائج الناس اليه ولا مائل الى حب اللهو
 والدعة فانه اذا كمل هذه الشروط صالح ان يكون موقفاً عن
 السلطان. والا صالح لهذه الرتبة والسلطان فيها الا يتولاها الا
 من يتولى ديوان رسائله ممن قدمنا ذكر صفته لانه يجمع
 هذه الاوصاف وغيرها فان أمكنه النهوض بها والا ارتاد
 معيناً فيها ممن تكون هذه صفته

فصل في التوقيعات في رقع المظالم خاصة (١)

هذا جزء من التوقيعات الا انه مهم كبير منها لكونه
مقتضياً انصاف الناس بعضهم من بعض واقامة ناموس العدل
في المملكة ولان اكثر المتظلمين ضعفاء صعايلك وحرُم
منقطعات يصل اكثرهم من اطراف المملكة ونواحيها الشاسعة
معتقدين انهم صائرون الى من ينصرهم ويكشف ظلامتهم

(١) قال المقرئى تحت عنوان النظر في المظالم اذا خلت
الدولة من وزير صاحب سيف يجلس صاحب الباب في القصر وبين
يديه الحجاب فينادي المتسادي يا ارباب الظلمات فيحضرون
من كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاية والقضاة رسالة بكشفها
ومن تظلم ممن ليس من اهل البلدين (القاهرة ومصر) احضر
قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها سلمها الى الكاتب فيوقع
عليها ويحمل الى كاتب آخر فييسط ما اشار اليه الاول ثم يحمل في
خريطة الى الخليفة فيوقع عليها وبعد خروجها تسلم لاربابها فان كانت
مساخة بمال كتب قد ائتمنا بذلك وكان اذا اراد ان يعلم الشيء الذي
انهى وقع : ليخرج الحال في ذلك وان كان هناك وزير وقع الخليفة
بخطه : وزيرنا السيد الاجل فلان ائتمنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك
ان شاء الله فيكتب الوزير تحت خط الخليفة : يمثل امر مولانا امير
المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت في الدواوين

ويعينهم على خصومهم فاذا حصلوا على الصفة التي هم عليها الى
 آخر وقت من تصنيف هذا الكتاب من قلة الاحتفال بهم
 وتضييع رقايعهم بحسب السهوان والضجر منها واشتغال
 الكتاب باللذات والتوقيع على ما يوقع عليه منها بما لا ينفع
 أربابه بالجملة ولا له معنى يفيدهم ولا يدرون ما هو فكيف
 يكون حالهم ولو لم يخش منهم الا الدعاء لكان منه الخوف
 الا كبر فلعهدى بالتوقيعات يكتب على بعضها «يعرض» وعلى
 أكثرها «يجدد عرضها» وما أشبه ذلك من الفوارغ التي لا
 معنى لها وتعاد الى أصحابها فاذا كتبوا غيرها وقع عليها مثل
 ذلك ايضاً وأما «لا سبيل الى ذلك» فهي لفظة قد اعتادوها
 حتى لو التمس نصراني أن يسلم أو مسلم أن يبني مسجداً من
 ماله في أرض مباحة لا مالك لها لوقع على رقعته: لا سبيل الى
 ذلك. ولا يوقع الا فيما كان تحيطه الجزية على الذمة أو
 عمارة الكنائس وما أشبه ذلك لكون بعض من يوقع فيها
 نصرانياً (١) ويجب أن لا يتولى هذه الخدمة الا متولى ديوان

(١) قال المقرئ وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف
 بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة ان يجلس هناك كل

الرسائل الذي قدمنا ذكره وصفته فانه جدير بها وان منعه
الشغل عنها فيجب أن يرتاد لها كاتباً كافياً مسلماً ناهضاً ديناً

ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال
بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله فيسمعه الخليفة
فيأمر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير أو القاضي أو الوالي
ومن غريب ما وقع ان الموفق بن الحلال لما كان يتحدث في
أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من اتدب بعد
انحطاط النيل من العدول والتصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير
ما شمله الري وزرع من الاراضي وكتابة المكلفات فخرج الى بعض
النواحي من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصراني
ثم لحقهم وأراد التعدي الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدي الى البر وطلب
منه اجرة التعدي فنفر فيه النصراني وسبه وقال أنا ماسح هذه البلدة
وتريد مني حق التعدي فقال له الضامن ان كان لي زرع خذه وقلع لجام
بغلة النصراني والفاه في معديته فلم يجد النصراني بداً من دفع الاجرة
اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تم مساحة البلد وبيض مكافة المساحة
ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة
عشرين فدانا ترك يياضاً في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة
وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب في البياض الذي تركه أرض
اللجام باسم ضامن المعدي عشرين فدانا قطعة كل فدان أربعة دنانير
عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة
اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر نذب من الجندمن فيه حماسة
وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصراني فيخرجون الى سائر

جيد الخط والفهم يتقى الله تعالى في أموره ويؤثر آخرته على
 دنياه ويوقع فيما أمكنه التوقيع فيه من رقايع المتظلمين مما
 الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة
 فينفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن
 وكان من العادة ان يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج
 وقت المساحة بل يتدب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكاتب والعدول
 لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به
 المكلفة ومن جملتهم ضامن المدينة فلما حضر الازم بستة وعشرين دينارا
 وثلثي دينار عن نظير ثلث المال الناهين دينارا التي تشهد به المكلفة عن
 خراج ارض اللجام فانكر الضامن ان تكون له زراعة بالناحية وصدقه
 أهل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب بالمقارع
 واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتى باع معديته وغيرها
 واورد ثلث المال الثابت في المكلفة وسار الى القاهرة فوقف تحت
 السقينة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل
 بحضرته قس عليه ظلامته مشافهة وحكي له ما اتفق منه في حق النصراني
 وما كاده به فأحضر ابن الحلال وجميع ارباب الدواوين وأحضرت
 المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت
 بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر البتة فحينئذ أمر
 الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسمر في مركب واقام له من
 يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادي عليه ففعل ذلك
 وأمر بكف أيدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فاعتطلوا
 عدة الى ان سأت أحوالهم وكان الحافظ مغرماً بعلم النجوم وله عدة

جرت العادة بمثله وما كان لا بد له من عرضه على السلطان واستطلاع رأيه فيه سلمه الى متولى ديوانه ليحضر به المجلس ويستخرج فيه الامر أو يحضر الكاتب نفسه فيقرأ المهات منها ويستأذن عليها ويوقع بما يؤمر فيها فتمت حدث فيها الرقعة

من المنجمين من جئاتهم شخص صار اليه عدة من اكابر كتاب النصاري ودفعوا اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبي زكريا وسألوه ان يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل وأنه ان أقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع (الابراد) وزكت الزروع وتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قواين المملكة على أجل الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قدره النصاري معه. فلما رأى الحافظ ذلك تعلق نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصاري وصار يتصفح وجوهمهم من غير أن يطلع أحد على ما يريد وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصداً منهم وخشية أن يفتن بمكرهم الى ان اشتد الزامهم باحضار سائر من بقي منهم فأحضره بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى ان ولاه أمير الدواوين فأعاد كتاب النصاري أوفر ما كانوا عليه وشرعوا في التجير وبالغوا في اظهار الفخر وتظاهروا بالملايس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة والديج الثقيلة وضايقوا المسلمين في أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجواري من المسلمين والمسلمات.

المهمة التي تنتفع الدولة بها ويستضر بتأخير النظر فيها ويفهم
 من طي هذه الرقاع من جور بعض الولاة والمستخدمين
 وامتداد أيديهم ما توجب السياسة صرفهم عما ولوه منها وما
 كان منها مما يسأل السلطان في صحته ندب من يثق به لكشفه
 مع رافعه فان صح قوله أنصف من خصمه وان بان تمحله
 قوبل بما يردع أمثاله على الكذب والتخرص فيكون ذلك
 كافاً لمن يههم بشكوى أحد على سبيل المحال وقول الزور فيه .
 ويعلم الولاة والمشارفون وسائر المستخدمين ان السلطان
 متفرغ للنظر في قصص الناس وشكاويهم او قد نصب لذلك
 من يتفرغ له ويطلع تألمهم منه فتتكف أيديهم عن الظلم والتعدي
 ويحذرون سوء عاقبة فعلهم المؤدى الى ضرر الرعية فينجس
 بذلك مادة كبيرة من الفساد ويقل المتظلمون قولاً واحداً
 وتحسن سمعة الدولة بذلك ويكون لها الجمال الكبير

قال المؤلف قد أتينا بجميع ما شرطناه في صدر هذا
 الكتاب من القوانين التي يجب ان يكون عليها متولى ديوان
 الرسائل وكتابه ومعينوه وجميع المستخدمين عنده على أفضل
 الوجوه وأسدها وجعلناه مع شدة الاختصار والانجاز جامعاً

للمعاني التي يحتاج اليها وذلك بسعادة من رسم باسمه وصنف
برسمه السيد الاجل الافضل سيد ارباب الممالك والدول
المحامي عن حوزة الدين ، وناشر جناح العدل على الاقربين
والابعدين ، ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره ، القائم في
نصرته بماضى سيفه وصائب رايه وتدييره ، أمين الله على عبادته ،
وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة
أمير المؤمنين لواضح بيانه وارشاده ، مولى النعم ومفرج النعم ،
ورافع الجور عن الامم ، ومالك فضيلتي السيف والقلم . ثبت
الله أيامه ونصر أعلامه ، وأمضى في الخافقين أحكامه ، وجعل
ملوك الارض خوله وخدامه ، وأظهر الحق به وعلى يديه ،
وجعل الامة واقية باقية عليه . ان شاء الله

(تم القانون في ديوان الرسائل بعون الله ومنه)

وافق الفراغ منه (اي من نسخه) صبيحة يوم الاثنين السادس
عشر من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسة الحمد لله
وحده وصلواته على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلامه

خاتمة

يقول ناشره قد رأيت ان أختتم هذا الكتاب بنبذة
 فيما آل اليه أمر الفواطم عند ما استبد الساطان صلاح الدين
 يوسف بن أيوب بملك مصر عقب موت الخليفة العاضد لدين
 الله آخر خلفائهم . قال المقرزي ولما مات العاضد في يوم عاشوراء
 سنة سبع وستين وخمسة مائة احتاط الطواشي قرا قوش على أهل
 العاضد وأولاده وجعلهم في مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع
 عمومته وعشيرته في ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرق بين
 النساء والرجال لثلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع الى انقراضهم
 وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من الخزان والدواوين
 وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف
 واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فاطلق من كان حراً
 ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق
 فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من
 سكانها وأغلق ابوابها ثم ملكها امراءه وضرب الالواح على

ما كان للخلفاء واتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه
 منها وباع بعضها ثم قسم القصور فاعطى القصر الكبير للامراء
 فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر اللؤلؤة
 على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة
 الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها
 ونزل بها. قال القاضي الفاضل وفي ثالث عشره يعني ربيعاً الآخر
 سنة سبع وستين كشف حاصل الخزان الخاصة بالقصر فقبيل
 ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع
 وعقود ثمينة وذخائر نفحة وجواهر نفيسة وغير ذلك من
 ذخائر جملة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش
 وبيان (اسم علم) وأخلت امكنة من القصر الغربي سكن
 بها الامير موسك (وهو من اولاد عم صلاح الدين واليه
 نسب طريق الموسكى الحالى) والامير ابوالهيچاء السمنى وغيره
 من الغز ومائت المناظر المصونة عن الناظر. والمنتزهات التي
 لم يخطر ابدا لها بالخطر. فسبحان مظهر العجائب ومحدثها. ووارث
 الارض ومورثها. قال ومقدار ما يحدس انه خرج من القصر
 ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس واثاث

وقماش وسلاح ما لا يفي به ملك الا كاسرة . ولا تتصوره
 الخواطر الحاضرة . ولا تشتمل على مثله الممالك العاصرة ولا
 يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة (١)

(١) ما ذا عسى كان يقول الفاضى الفاضل لو عاين ما حوته
 خزائن القصور من النقائس والطرف والذخائر والتحف قبل ذلك
 بقرن اى قبل الحوادث والفتن التى وقعت على أيام الخليفة المستنصر
 واتفق المؤرخون على نعتها بالشدة العظمى وهو هو الذى اشترى من
 من ضمن ما بيع من خزانة الكتب مائة الف مجلد وهو بعض من كل
 وهذا الكل انما هو بقية بقيت عقب الشدة العظمى ضم لها متأخرو القواطم
 بعض النسخ

ما ذا عساه كان يقول لو شاهد خزائن الكسوات قبل أيام
 المستنصر وهى مفعمة بالكساوي الخاصة والبدلات المعدة للخلع التى
 اخرج منها فى بعض أيام سنى الشدة ما يزيد على خمسين الف قطعة
 اكثرها مذهبة

او ماذا عساه كان يقول لو رأى خزائن الجواهر وقد اخرج منها
 فى أيام الشدة صندوق كيل منه سبعة امداد زمر قد قدرت قيمتها بثلاثمائة
 الف دينار . وصندوق آخر اخرج منه سبع وبيات من قيس الدر
 الرفيع الرائع وصناديق عدة مملوءة بالسكاكين المذهبة والمقفضة
 او ما اخرج من خزائن عبدة بنت المعز من المتاع الذى كتب
 كشف بيانه فى ثلاثين رزمة ورق من ضمنها تسعون طستاً وتسعون
 بريقاً من صافي البلور المحلى والاجاجين الصينى الكبار المحلاة المعمولة

وقال الحافظ جمال الدين يوسف الينموري وجدت بخط
 المهذب ابي طالب محمد بن علي بن الخيمي : حدثني الامير عضد
 الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ ان القصر
 اُتلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة
 وثمانية آلاف عبد وخدام وأمة ومولدة وتربية . وقال ابن عبد
 الظاهر عن القصر لما اخذه صلاح الدين واخرج من كان
 به : كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم خل الا الخليفة وأهله
 وأولاده ولما اخرجوا منه اسكنوا في دار المظفر وقبض أيضاً
 صلاح الدين على الامير داود بن العاضد وكان ولي العهد
 وينعت بالحمد لله واعتقل معه جميع اخوته وجماعة من بني

لغسل الثياب قيمة كل قطعة منها الف دينار
 او ما اخرج من خزائن الفرش والامتعة وبلغ عدد قطعه اكثر
 من مائة الف قطعة بيعت مرتبة منها بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار .
 ومقطع من الحرير التستري الازرق الغريب الصنعة المنسوج بالذهب
 وسائر الالوان كان المعز لدين الله أمر بعمله وفيه صور اقاليم الارض
 وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها مكتوب على كل مدينة
 وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب او الفضة او الحرير وفي
 آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعلم
 رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة وبلغت النفقة عليه اتسين

أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان
الى ان انتقل الملك الكامل الى قلعة الجبل فنقلهم معه وبها مات
داود بن العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية
وقال أيضا وفي شهر رجب من سنة اربع وثمانين وخمسمائة
كان بقي من ذرية القواطم بدار المظفر والقصر الغربي والايوان
مائتين واثنين وخمسين شخصا : ذكور ثمانية وتسعون ، واناث
مائة واربعة وخمسون . تفصيله : المقيمون بدار المظفر احدى وثلاثون :
ذكور احدى عشر كلهم اولاد العاضد لصلبه ، اناث عشرون :
بنات العاضد خمسة . اخواته اربع . جهات العاضد اربع . بنات

وعشرين الف دينار أو ما أخرج من نفس هذه الخزائن من رزم
الفرش وعددها أربعة آلاف رزمة كل رزمة فرش مجلس يسطه
وتعليقه (ستائره) وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على
حالتها لم تمس

واني اقتصر على هذا القدر من وصف هذه الخزائن وأحيل
القارىء المحب للاستقصاء على كتاب المقرئى الذى ورد فيه وصف
هذه الخزائن وغيرها من خزائن الخيم وخزائن السروج وخزائن
السلاح وخزانة البنود والاعلام وهو وصف يكاد لا يصدقه من لم
يقف على دقائق معيشة القوم ومبلغ حبههم لتنعيم والرفاهية سبحان من
يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الحافظ ثلاث. جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه اربع. المعتقلون
بالايوان خمسة وخمسون رجلا منهم الامير ابو الظاهر بن جبريل
ابن الحافظ. المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصاً:
ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة واصغرهم
عمره سبع عشرة سنة اناث مائة واربع وثلاثون: بنات
اربع وستون اخوات وعمات وزوجات سبعون

ويجدد بنا وقد وصلنا بالقارىء الى هنا ان نختم بالقصيدة
التي نظمها الفقيه عمارة اليمنى (١) في رثاء أهل القصر وضمنها جملاً

(١) الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكيم
اليمنى الملقب بنجم الدين الشاعر المشهور قال ابن خلكان وطنه من
تهامة اليمن من مدينة يقال لها مرطان بعدها من مكة أحد عشر يوماً
جنوباً وبها مولده ومرباه بلغ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ورحل
الى زبيد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقام بها واشتغل بالنقش في
بعض مدارسها مدة أربع سنين وحج سنة تسع وأربعين وخمسمائة
وسيره قاسم بن هاشم أمير مكة رسولا الى الديار المصرية فدخلها في
ربيع الاول سنة خمسين وخمسمائة وصاحبها يومئذ الفائر بن الظافر
والوزير الصالح طلائع بن رزيك وانشدهما في هذه الدفعة قصيدته وهي
الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا احمد الحق عندي للركاب يد تمت اللجم فيها رتبة الخطم

سما مر ذكره في هذا الكتاب وبذلك يسهل فهمها وهي قصيدة

قربن بعد مزار العز من نظري
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
فهل درى البيت أنى بعد فرقته
ما سرت من حرم الا الى حرم

ومنها في مدح الصالح طلائع

لقد حمى الدين والدنيا وأهلها
الا يد الصانعين السيف والقلم

الى ان قال

ليت الكواكب تدنولى فأظلمها
عقود مدح فما أرضى لكم كلنى
وفيهما معاً

خليفة ووزير مد عدلها ظلا على مفرق الاسلام والامم
قال فاستحسننا قصيدته وأجزلا صلته واقام الى شوال من سنة
خمسین في أرغد عيش وأعز جانب ثم فارق مصر الى مكة ومنها الى
زيد في صفر سنة احدى وخمسين ثم حج من عامه فاعاده قاسم في
رسالة الى مصر ثانية فاستوطنها ولم يفارقها بعد ذلك
وكان فقيهاً شافعي المذهب شديد التعصب للسنة أديباً ماهراً شاعراً
مجيداً محادثاً فاحسن الصالح وبنوه وأهله اليه كل الاحسان وحبوه
مع اختلاف العقيدة وكانت بينه وبين الكامل بن شاور محبة متأكدة
قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب اليه

اذا لم يسالمك الزمان حارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فرما
وباعد اذا لم تتفع بالاقارب
تموت الافاعي من سموم العقارب

قال فيها بعضهم انه لم يسمع في دولة بعد انقراضها أحسن منها
واليك نصها

رमित يادهر كف المجد بالشلل وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

ومنها

إذا كان هذا الدر معدنه في فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالا أصبحت في ما دب لديكم وحالي وحدها في نوادب.
تأخرت لما قدمتهم علاكم على وتأيي الاسد سبق الثعالب.
قال ابن خلكان وزالت دولة المصريين وهو في البلاد ولما ملك
السلطان صلاح الدين الديار المصرية كتب اليه قصيدة متضمنة شرح
حاله وضرورته . ورثي أهل القصر عند زوال ملككم بقصيدة لامية
طويلة أجاد فيها . قال انه شرع في أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة
من رؤساء البلد على التعصب للمصريين واعادة دولتهم فأحسن به
السلطان صلاح الدين وكانوا ثمانية من الاعيان ومن جماعتهم الفقيه
عمارة فشنقهم يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة
بالقاهرة وله تواليف (كذا) منها كتاب أخبار اليمن وفيه فوائد .
ومنها النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية وغير ذلك . وقال العماد
الاصباني انه صلب في جملة الجماعة الذين نسب اليهم التدبير على صلاح
الدين ومكاتبة الفرنج واستدعائهم اليه حتى يجلسوا ولد العاضد وكانوا
أدخلوا معهم رجلا من الاجناد ليس من أهل مصر فحضر عند صلاح
الدين واخبره بما جرى فأحضرهم فلم ينكروا الامر ولم يروه منكراً
فقطع الطريق على عمر عمارة

سميت في منهج الرأي العصور فان قدرت من شيرات الدهر فاستقل
 جدعت مارنك الاقوي فانفك لا ينمك ما بين قرع السن والخجل
 هدمت قاعدة المعروف عن عجل سميت مهلاً أما عشي على مهل
 لهفي ولهف بني الآمال قاطبة على فجيتهما في أكرم الدول
 قدمت مصر فأولتني خلائفها من المكارم ما أرنى على الأمل
 قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن كالأما أيا جاءت ولم أسل
 ونلت من عظماء الجيش مكرمة وخلة حرست من عارض الخلل
 يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة ان قصرت في عدلي
 بالله در ساحة القصرين (١) وابك معي

عليهما لا على صفتين والجميل

(١) ساحة القصرين ميدان كان بينهما يقال له أيضاً «بين القصرين» وكان في غاية السعة وصفه بعضهم بأنه يسع عشرة آلاف فارس وموقعه شارع النحاسين الآن من قبالة باب الصاغة إلى حيث الجامع الأحمر وهذا يشبه ان يكون طوله وأما عرضه فمن وجهة جامع فلاوون إلى القبو سفلى بيت القاضي

والقصران هما القصر الكبير الشرقي بحده جنوباً خان الخليلي وغرباً منط مواز لشارع النحاسين على سمت بيت القاضي ينتهي شمالاً بالجامع الأحمر ويحده من الجهة البحرية الطريق المؤدى من الجامع الأحمر إلى شارع الجمالية ومن جهة الشرق الطريق المؤدى من الجمالية إلى قصر الشوق ثم يعرج إلى حيث المشهد الحسيني وكان داخل القصر وأما القصر الصغير الشرقي فيشغل موقعه مارستان فلاوون وما في صفة من الجوامع والبيوت إلى حارة برجوان وكان قبله حيث الصاغة الآن مطبخ القصر

وقيل لاهيهما والله ما التحمت
الى ان قال
فيكم جراحی ولا قرحی بمندمل

مررت بالقصر والاركان خالية
فعلت عنها بوجهي خوف منتقد
من الوفود وكانت قبلة القبل
من الاعادي ووجه الود لم يمل
رحابكم وغدت مهجور السبل
حال الزمان عليها وهي لم تحل
أسلت من أسفي دمعى غداة خات
أبكي على ما آراءت من مكارمكم
دار الضيافة (١) كانت أنس وافدكم
وفطرة الصوم (٢) اذا ضحت مكارمكم

تشكو من الدهر حيقاً نهر محتمل

(١) دار الضيافة . قال المقرئى كانت برسم الرسل الواردين
من الملوك ويقال لتوليها النائب لكونه نيوب عن صاحب الباب (الحاجب)
في لقاء الرسل الوافدين وانزال كل واحد منهم في دار تصلح له ويقوم
له من يقوم بخدمته ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحداً من
الاجتماع بهم ويذكره صاحب الباب بهم ويبالغ في نجاز ما وصلوا فيه
وهو الذى يسلم بهم أبدأ عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم
ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده
اليسرى ويحفظ النائب ما يقولون ويقال عنهم ويجهرون في اتصالحهم على أحسن
الوجوه . وبين يده من الفراشين عدة

(٢) قال المقرئى وعمل المعز داراً سماها دار الفطرة يعمل فيها
الخشكناج والامواء والفانيد (كعب الغزال) والسكك وغيره من أول رجب
الى نصف رمضان يفرق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام على قدر

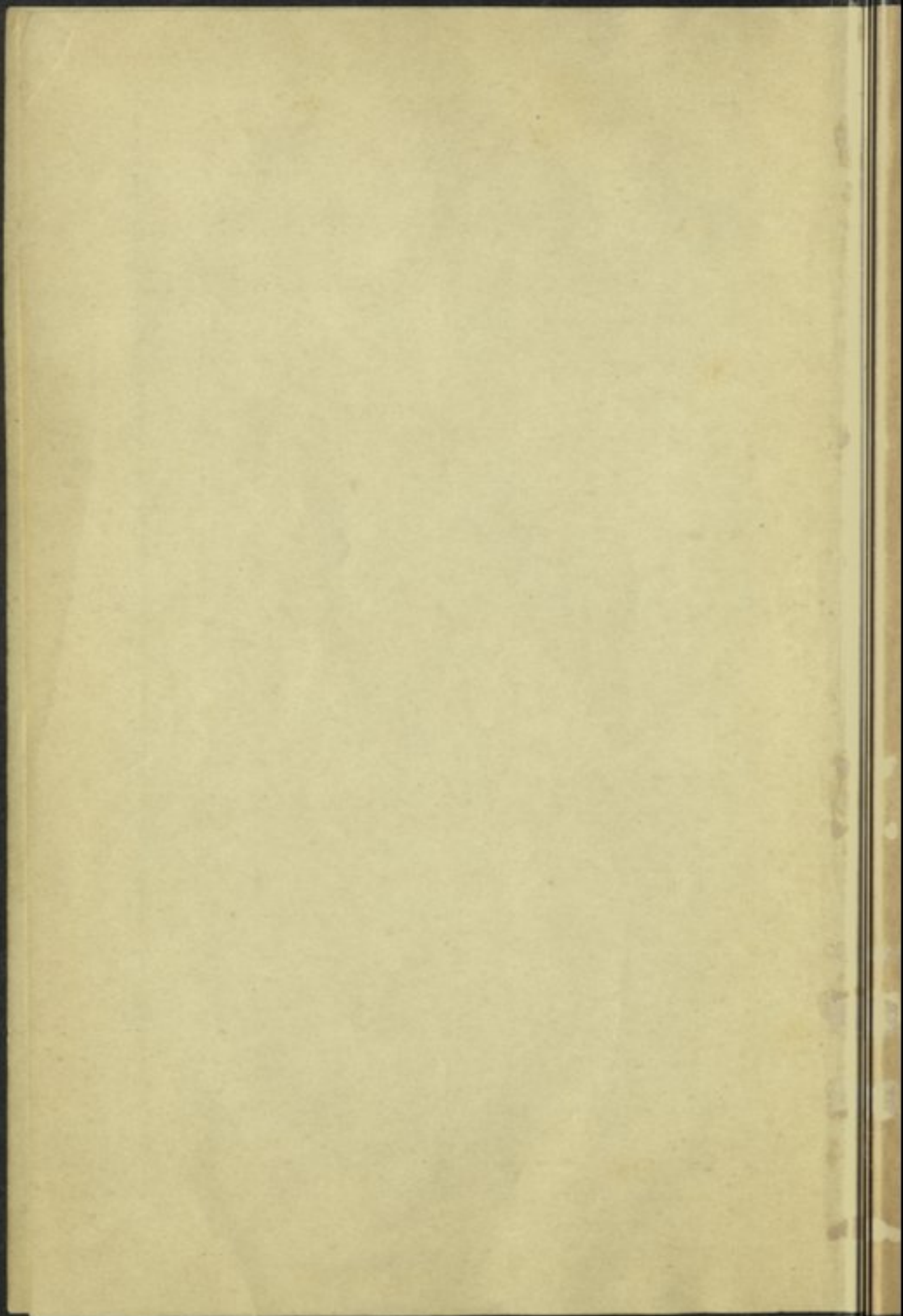
وكسوة الناس (٣) في الفصاين قد درست

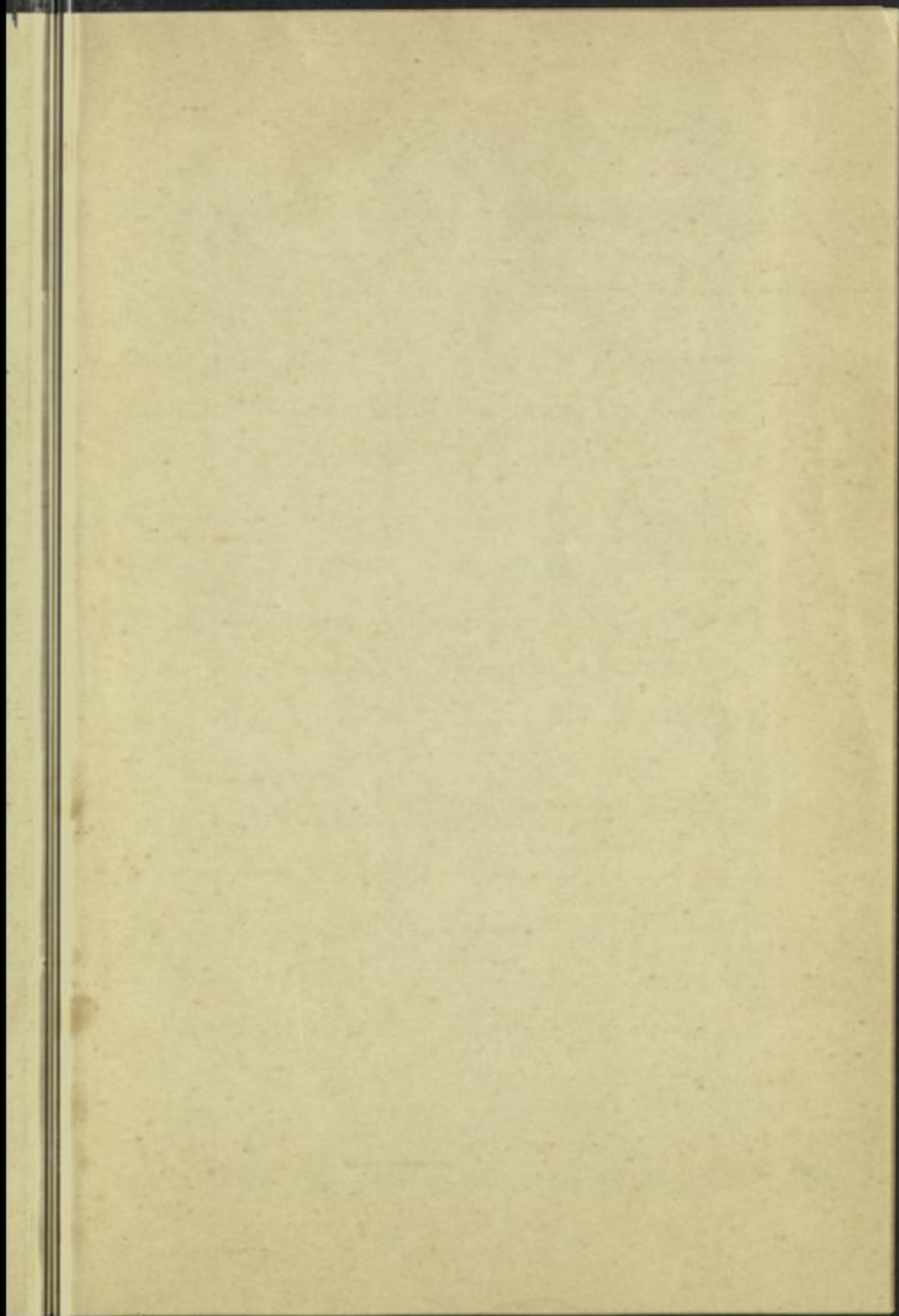
ورث منها جديد عندهم وبلى

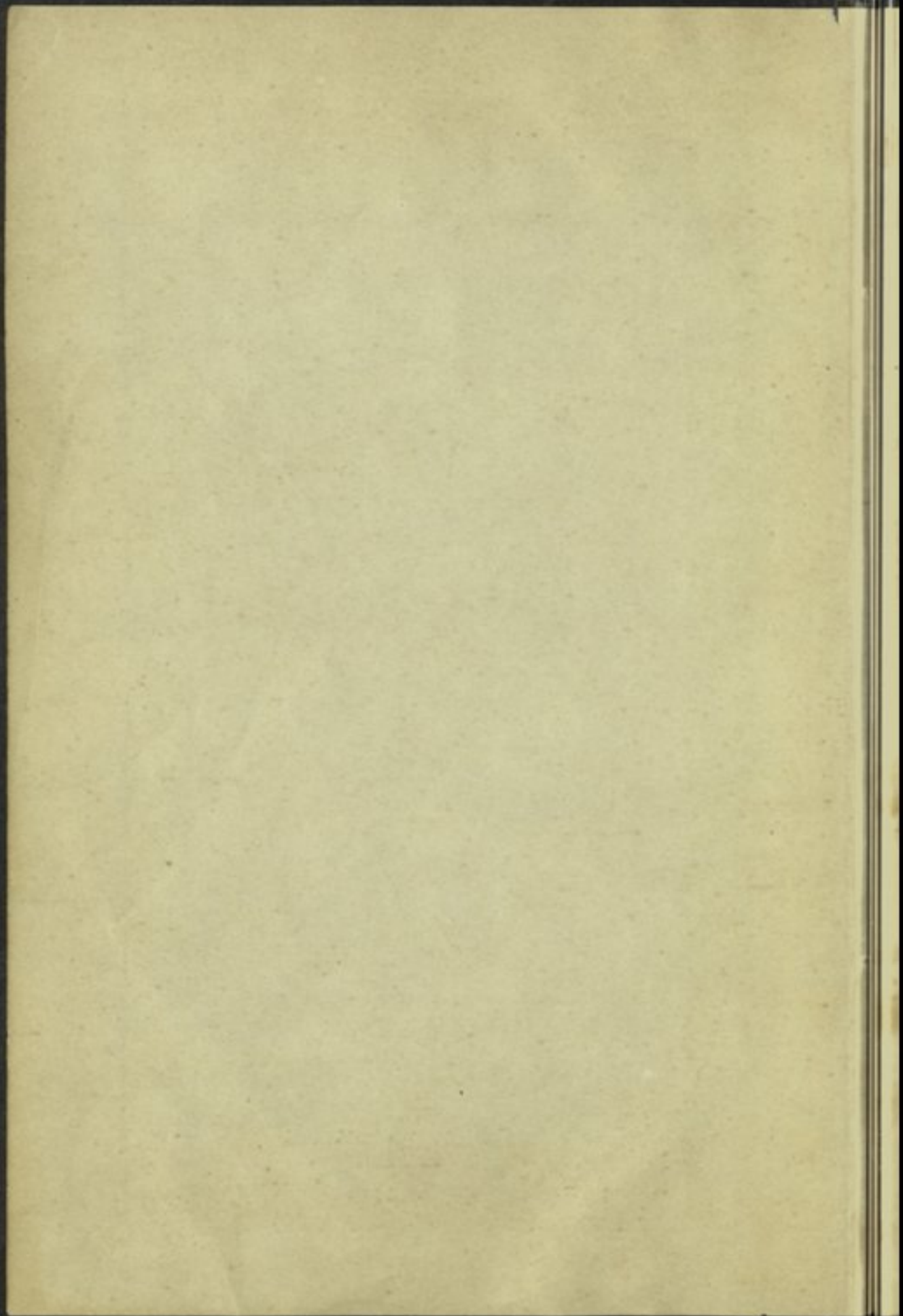
منازلهم في اوان لا تستعاد ويبلغ ما يصرف في شراء اصنافها كل سنة عشرة الاف دينار (خارجا عن اجرة الصانع وعددهم مائة ومرتبات الناظر والمشارف) وقد فصل الاصناف فقال دقيق الف حمله . سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطير وقلب لوز ثمانية وقلب البندق اربعة والتمر اربعة مائة أردب والزيب ثلثمائة والخل ثلاثة قناطير وعسل النحل خمسة عشر قنطارا والشيرج مائتا قنطار ومن الايسون والسهم اردبان . زيت طيب يرسم الوقود (في دار الفطرة) ثلاثون قنطارا ما ورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما قال وكانت التفرقة بمقتضى ادعية (كشوف) تخرج من الديوان بأسماء ذوى المرتبات ومقدار مرتب كل من ربع قنطار الى رطل واحد (٣) قال بعض مؤرخيهم ومن اخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلود بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمتديل من فاخر الثياب وتقيس الملبوس . قال وسمعت من يتول انه حضر كسوة الفصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة الف دينار وكانت خلعهم على الامراء الثياب الديقى والعمائم بالطراز الذهب . ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق العقد الجواهر وبلغ عدد القطع التي فرقت سنة ست عشرة وخمسمائة اربعة عشر الفا وثلثمائة وخمس قطع

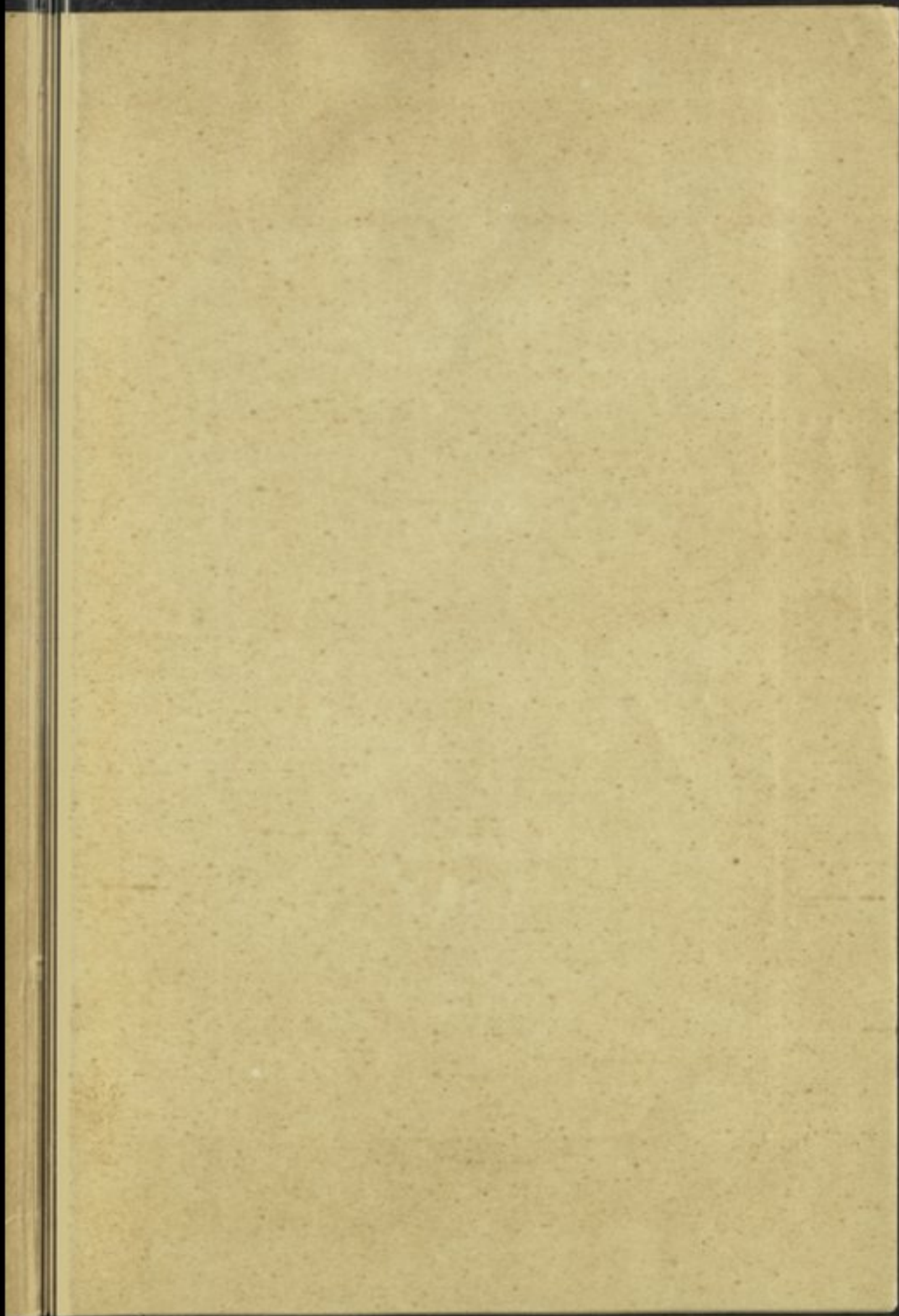
وموسم كان في يوم الخليج لكم
 وأول العام والعيدين كما لكم
 والارض تهتز في يوم الغدير كما
 والخيل تعرض في وشى وفي شية
 ولا حملتم قري الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكتاف والعجل
 وما خصصتم بئر أهل ملتكم
 كانت روايتكم للامتين وللـ
 ثم الطراز بتيس الذي عظمت
 وللجوامع من احسانكم نعم
 وربما عادت الدنيا فمعقلها
 والله لا فاز يوم الحشر مبعضكم
 ولا سقى الماء من حر ومن ظاء
 ولا رأى جنة الله التي خلقت
 أمتي وهداتي والذخيرة لى
 تالله لم أوفهم في المدح حقهم
 ولو تضاعفت الاقوال واتسعت
 باب النجاة هم دنيا وآخرة
 نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل م
 أئمة خلقوا نورا فنورهم
 والله ما زلت عن حبي لهم أبدا

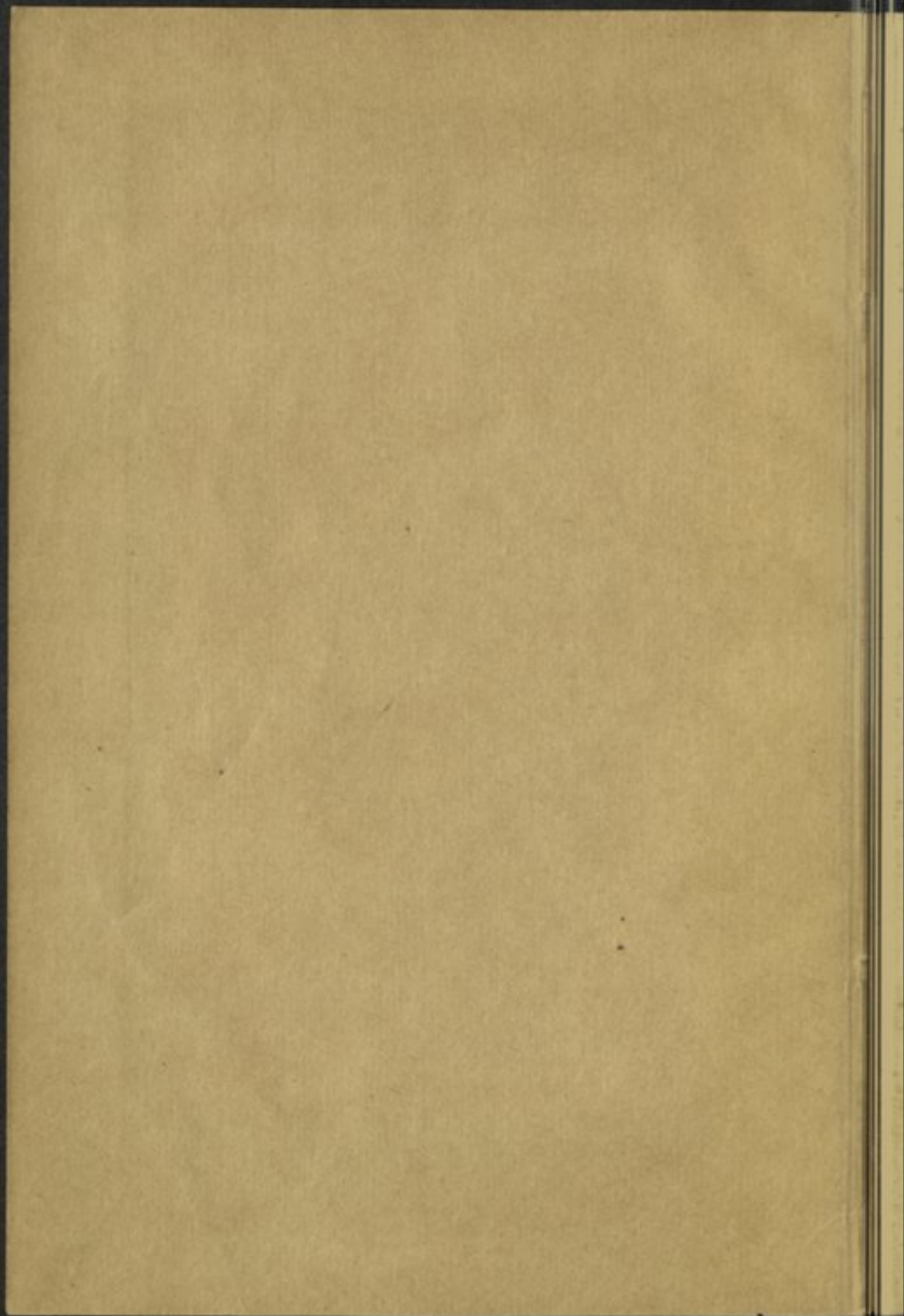
يأتى تجملكم فيه على الجمل
 فيهن من وبل جود ليس بالوشل
 يهتز ما بين قصر يكم من الاسل
 مثل العرائس في حلى وفي حلل
 حتى عمتم به الاقصى من الملل
 ضيف المقيم والطارى من الرسل
 منه الصلات لإهل الارض والدول
 لمن تصدر في علم وفي عمل
 منكم وأضحت بكم محلولة العقل
 ولا نجما من عذاب الله غير ولى
 من كف خير البرايا خاتم الرسل
 من خان عهد الامام العاضدين على
 اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
 لان حقهم كالوابل البطل
 ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
 وحبهم فهو أصل الدين والعمل
 الغيث ان ربت الأنواء في المحل
 من محض خالص نور الله لم يقل
 ما أخرج الله لى في مدة الاجل















DATE DUE

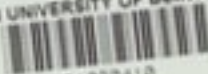
DATE DUE	
	
	
	
	
	

808.6:113kA:c.1

بهجت، علي

قانون ديوان الرسائل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030410

American University of Beirut



808.6

I13kA

General Library

808.6
I 13 h A